دور الحركة العلميّة والأدبيّة في مقاومة الاستعمار
(ثورة العشرين) أنموذجا

براءة محمود العداي [1]

الملخّص

مثّلت ثورة العشرين ضدّ الاحتلال البريطاني للعراق في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، أحد أهمّ الأحداث في تاريخ العراق المعاصر؛ إذ ترتّب عليها تأسيس الدولة العراقيّة الحديثة، وشكّلت نقطة تحوّلٍ أساسيّةٍ في سياسة بريطانيا تجاه الشرق الأوسط بصفةٍ عامّة. وتكمن أهميّة هذه الدراسة في كونها تتناول حدثًا تاريخيًّا مهمًّا ما زال موضع جدلٍ بين الباحثين والمؤرخين، وأنّ الدوافع الوطنيّة والقوميّة شكّلت المحرّك الرئيس للثورة في حين مثّلت الدوافع الدينيّة والقبلية، دوافع ثانويّةً مساعدة، وأنّ ثورة العشرين أفضت إلى تأسيس الدولة العراقيّة الحديثة. وقد أثرت بنحوٍ واضحٍ في الأدب والشعر، وكان للفقهاء والعلماء دورٌ محوريٌّ في هذه الثورة، فأصبحت ثورة العشرين درسًا للحركات والثورات والاحتجاجات التي تلتها، فتناولت هذه الدراسة دور الحركة العلميّة والأدبيّة، واتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحيّة: الأدب المقاوم، ثورة العشرين، فتاوى المرجعيّة، مقاومة الاستعمار، الاحتلال البريطاني.

---

١. متخصصة في التفسير المقارن / جامعة المصطفى العالمية - سوريا.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على خير خلقه أجمعين، محمّدٍ المصطفى وآله الطيّبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

أما بعد:

ثورة العشرين يوم الضمير الإنساني والانعطاف التاريخي لكلّ مواطن الشرف والأمانة، قرنٌ من الزمن ومازال اسم شعلان ورفاقه يداعب العقول (ومكواره) الصامد بوجه الدبابات وفوهات المدافع، لقد حفر على ذاكرة الرجال والنساء، وسُجّل بالذهب نصرًا يوضع على قمّة التاريخ، والرميثة لم تزل تتقاذف اللهب كلّما مرّت هذه الذكرى الموجودة في قلوب العراقيين، يتوارثونها جيلًا بعد جيل، ويدركون تاريخًا رافضًا للغزاة.

إنّ هذه الثورة كانت رفضًا للتسلّط البريطاني الطامع بثروات العراق، التي اتّحدت فيها جهود الغيارى من أبنائه ليثبتوا للاحتلال الطامع أنّهم لايبالون بعدته وعديده، فزلزلوا قوّته بقوّتهم الروحيّة وغيرتهم العراقيّة والإصرار على إظهار الشجاعة الفائقة المستمدة من روح الإسلام، فقاتلوا من أجل هذه القضية فكان هذا السلاح الروحي أمضى الأسلحة. وبسلاح (الفالة) ــ التي هي أداةٍ صيدٍ بسيطةٍ عند الفلاحين ــ استطاعوا أن أن يواجهوا الغزاة، مع إيمانهم بالقضية التي يقاتلون من أجلها، وحبّهم للشهادة من أجل وطنهم ومقدّساتهم؛ فكانت حدثًا لاينساه العراقيّون؛ لأنّها حقّقت في حينها ما يتطلّع إليه الشعب المقاوم رغم بطش الاحتلال، وحجم التضحيات البشريّة الكبيرة التي قدّمها الثوّار؛ إذ تمكّنوا من إرضاخ الإدارة البريطانيّة لمطالب الشعب، فأدركت الإدارة البريطانيّة أنّ العراقيين مصرّون على الاستقلال مهما كلّف الأمر.

ودخلت ثورة العشرين في الأدب والشعر، فخُلِّدت بأبياتٍ شعريّةٍ كثيرةٍ رافقت الثورة من بدايتها إلى نهايتها ومابعد الثورة أيضًا؛ ومن هنا فإنّ هذه الدراسة تسلّط الضوء على الحركة العلميّة لثورة العشرين والحركة الأدبيّة، وتأتي أهميّة الدراسة من أهميّة الحادثة والمناسبة، فثورة العشرين قدّمت درسًا في غاية الأهميّة للمجتمع الإنساني، يمثّل في أنّ وحدة الأمة، والإيمان بالقضيّة، والبصيرة في الأمور، ورفض الظلم، والبحث عن الحريّة مهما كلّف الأمر هي من تحسم الموقف، وتحدّد النتائج حتى وإنْ كانت بعيدة المدى، فما علينا هو السعي، وأمّا تحقّق النتائج سيكون رهن الحركة والثبات والصبر والاستقامة، فكانت ثورة العشرين النموذج الأكثر تعبيرًا عن تمسّك العراقيين بهويّتهم الوطنيّة في أثناء مرحلة لا تقلّ أهميّتها عمّا سواها من مراحل تاريخ العراق الحديث، خاصّة بعد تداعيات الحرب العالميّة الأولى، ويبرز تأثير الأدب المقاوم في تشكيل الوعي الجمعي والهوية الثقافيّة، فمهما تعدّدت الأزمنة وتغيرت الأحوال، لكن ظلّ الأدب المقاوم مرآةً تعكس الواقع، ومنبرًا للتعبير عن الآمال والأحلام واستنهاض الهمم والاحتجاج.

السؤال الرئيس لهذه الدراسة: ما دور الحركة العلميّة والأدبيّة في ثورة العشرين؟

وأما الأسئلة الفرعيّة:

ــ ما معنى المقاومة والثورة، والأدب المقاوم؟

ــ ما العوامل المؤثّرة في الحركة العلميّة لثورة العشرين؟

ــ ما دور الحركة الأدبيّة في ثورة العشرين؟

الدراسات السابقة:

- ثورة العشرين في الشعر العراقي، إبراهيم الوائلي.

- ثورة العشرين الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة الاستقلاليّة في العراق، وميض جمال عمر نظمي. كتب الكثير عن أسبابها دوافعها توجهاتها وأهدافها، ومن هي الشرائح الاجتماعيّة التي شاركت فيها.

- شاعرات في ثورة العشرين، علي الخاقاني.

النتائج

١. إنّ المقاومة هي القيام المضادّ لمقاومة الغير من أجل منعه من تحقيق هدفه والانتصار عليه.
٢. المرجعيّة الدينيّة تمثّل القدوة المُثلى لالتفاف الناس حولها.
٣. وثاقة العلاقة الروحيّة بين الشعب العراقي والمرجعيّة.
٤. الشعراء بشعرهم المتمرد كان لهم الدور الريادي في استنهاض الشعب.
٥. الهوسة هي فنٌّ أدبيّ شعريّ تميّز به أهل العراق.
٦. الهوسة لها تأثيرٌ نفسيّ على الجماهير، يزيد في حماسها.
٧. الأدب المسرحي شارك في المقاومة، وكان داعمًا لثورة العشرين.
٨. كانت المدارس الأهليّة والأنشطة الأهليّة منبرًا من منابر الثورة.

الثورة لغةً

«ثَوْرَة [مفرد]: الجمع: ثَوْرات (لغير المصدر)، وثَوَرات (لغير المصدر): مصدر ثارَ/ ثارَ على، وهي اندفاع من جماهير الشعب نحو تغيير الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة تغييرًا أساسيًّا»[1].

1. www.maajim.com

الثورة اصطلاحًا:

«الثورة هي حركةٌ اجتماعيّةٌ أو سياسيّةٌ تُحدث تغييرًا جذريًا وشاملًا في الهياكل السياسيّة، الاقتصاديّة، أو الاجتماعيّة في مجتمعٍ ما. تُعَدُّ الثورة نتيجةً لصراعٍ بين القوى القائمة التي تمثّل النظام السائد والقوى الراغبة في التغيير. وفي كثيرٍ من الأحيان، تعكس الثورات رغبةً قويةً لدى فئةٍ من الشعب لتحقيق العدالة، أو الحريّة، أو إزالة الظلم والاستبداد»[١].

المقاومة لغةً:

«قاومه في الحرب وغيرها، أي قام له»[٢]. ثم في تعريف كلمة المناهضة يعرفها بالمقاومة [٣] كما يتفق معه بالتعريف الزبيدي في تاج العروس [٤] نقلًا عن الجوهري، «وكافح قِرنه: قاومه بقوة»[٥]، وقَاوَمَ الشعبُ المستعمرَ حتّى نال استقلاله (قام ضدّه، نهض لردّه)[٦].

والمقاومة اصطلاحًا:

إنّ كلمة المقاومة وإنْ استخدمها الناس في الجوانب الداخلية، لكن المقاومة بحسب المصطلح السياسي، مسألة تتّصل بالجانب الخارجي، يعني تتّصل بعملية تحرير البلد أو الأمّة؛ لأنّها قد تكون على مستوى الوطن أو على مستوى الأمّة إذا تناولت القضايا التي تتّصل بحياة الأمّة[٧].

---

1. https://maktaba-amma.com/

٢. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٨/ ٥٦٨٢.

٣. المصدر نفسه، ج١٠، ص ٦٧٨١.

٤. الزبيدي، مرتضى محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٠/ ١٧٥ نقله عن الجوهري.

٥. موسى، حسين يوسف، الإفصاح في فقه اللغة، ١/ ٦٢٨.

٦. الحيدري، محمد، معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها، ٦٣٣.

٧. انظر جهامي، جيرار الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد) ٢/ ٢٧٣١.

ويمكن القول إنّ المقاومة هي القيام المضادّ لمقاومة الغير من أجل منعه من تحقيق هدفه، والانتصار عليه، ولهذا كان من الأنسب إطلاقها على المقاتلين، وبالرجوع إلى أقوال اللغويين لم يتم حصرها بالمقاومة الإيجابيّة، بل تشمل السلبيّة أيضًا، ويمكن القول إنّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة؛ فإذا استعملناها بالمعنى الإيجابي كانت مقاومةً حقيقة، وإذا استعملناها بالمعنى السلبي كانت مجازًا، ويصح القول بأنّها أصبحت من الألفاظ المنقولة لكثرة استعمالها في خصوص المناهضة الإيجابية، فإنّ العرف الآن لا يشعر بالحاجة إلى قرينة لتشخيص نوع المناهضة المقصودة في كلامه على خلاف الألفاظ المشتركة، والحال في كلمة (مقاومة) فقد تكون موضوعة لغةً للأعم من المناهضة الإيجابيّة، ولكن بسبب كثرة الاستعمال في خصوصها وإهمال استعمالها في السلبيّة أوجب التخصيص بها، بنحو استغنى إرادة خصوصها عن القرينة، بل احتاج تفهم (السلبيّة) منها إلى قرينة، ولعلّ هذا من انقلاب الحقيقة إلى المجاز.

مفهوم الأدب المقاوم

من المفاهيم التي نحتاج إلى بيانها في هذه الدراسة مفهوم الأدب المقاوم، فالمقاومة كما تقدّم فعل تحدٍّ، وإرادة رفضٍ للذِّلّ والاحتلال والقهر، ولئن كانت طرق المقاومة متشّعبةً متعّددةً كان للقلم نصيبه الوافر في صنع الفعل المقاوم، وتخليد إنجازات المقاومين؛ لذلك اضطلع الأدب بدورٍ فاعلٍ جدًّا في تشكيل وعي الذَّات الجمعيَّة المقاومة وتحفيزها على المواجهة؛ فكان الأدب المقاوم نثرًا وشعرًا، وكانت الكلمة صنو الرَّصاص في معركة الوطن ضد محتلّيه، وتوثّق ملاحم كفاحهم، وتدفع عن تاريخ تضحياتهم غبار النسيان والضّياع، وهذا ما يُسمّى (بأدب المقاومة) أو (الأدب المقاوم)؛ ولذلك كان الأدب المقاوم قرين حركة الميدان المقاوم في كلّ ساحات الجهاد والنضال.

المطلب الأول: العوامل والأسباب المؤثّرة في الحركة العلميّة لثورة العشرين

بعد أنْ أسفرت التسويات عقب الحرب العالمية الأولى عن فرض الانتداب البريطاني على العراق، صار ذلك مخيبًا للآمال، وبرهانًا على حنث بريطانيا للعهود التي سبق أن قطعتها للعراقيين بالحرية والاستقلال، وكذلك تصريحات دول الحلفاء الآخرين المتعلقة بمنح الشعوب التي كانت خاضعةً لسيطرة الدولة العثمانيّة حق تقرير المصير.

إنّ انتهاء الحرب العالمية الأولى ووضوح موقف بريطانيا بعدم المبالاة بآمال العراقيين بالاستقلال، وقيام بعض الحركات المعارضة للبريطانيين في بعض المناطق القريبة من العراق، فضلًا عن دور المثقفين العراقيين في تهيئة الأذهان للتحرر والاستقلال، والدور الديني للمرجعية الشيعية وزعماء القبائل والعشائر، ذلك كلّه جعلت الشعب يرى أنّه لا بدّ من استعمال القوة. والتطوّرات الأخيرة التي شهدها العراق بعد الحرب العالمية الأولى، تركت آثارًا سيئةً على خلجات الرأي العام، وأحدثت نفورًا بين أوساط المجتمع الريفي.

وكلّ حركةٍ تغييرٍ ثوريّ لا تنطلق من البعد الفكري والثقافي لا يمكن أنْ تكون ثورةً حقيقية؛ وذلك لأنّ الثورة الحقيقية، لا بد لها أنْ تختمر في رحاب نظريةٍ ثوريةٍ عميقة الأبعاد ضاربة الجذور في الوعي الثوري، ومن غير ذلك لن تكون الثورة المزعومة إلّا فقاعة.

تسمّى ثورة العشرين؛ لأنّها وقعت عام ١٩٢٠م، وتسمّى الثورة العراقيّة الكبرى؛ لشمولها أغلب مناطق العراق[١]، لكن نجد بعض الباحثين العراقيين

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، وعبد الله فياض الثورة العراقيّة الكبرى، وفريق مزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة الكبرى سنة ١٩٢٠ ونتائجها.

يطلقون عليها بالانتفاضة الشعبيّة على الرغم من أنّها وصفت لدى كثيرٍ من الكتّاب والباحثين والأدباء العراقيين بالثورة، وهذا بحدّ ذاته يمكن عدّه تجنّيًا على الثورة، وتقليدًا غير موفّقٍ لآراء البريطانيين في وصفهم لتلك الثورة بأنّها عصيانٌ وتمردٌّ شعبي[١].

ويمكن إجمال أسباب الثورة إلى عدّة عوامل، منها المدّ الثوري العربي في محاربة المحتل، كثورة الشريف حسين عام (١٩١٦م)، وثورة مصر(١٩١٩م)، وحركات التحرّر العالميّة ضد سياسة الانتداب التي اتبعها الحلفاء، وسوء الإدارة وما رافقها من قمع وترهيب ونفي وتنكيل، واستغلال واردات البلد، وفرض الضرائب، إضافةً إلى تأثير الأحزاب والجمعيّات الوطنيّة في إثارة الوعي الوطني؛ فوجود الأحزاب السياسيّة تميّز بالفاعليّة والنشاط من أجل المشاركة في العملية السياسيّة، ولا يخفى أنّ للأحزاب السياسيّة دورًا كبيرًا في صناعة الأفكار وبلورتها وخصوصًا الثقافة السياسيّة، وحمايتها والحفاظ عليها، الأمر الذي يبين أهمية الأحزاب السياسيّة ودورها المحوري والفاعل في العمليّة السياسيّة، وهي بمنزلة أدوات تكوين الرأي العام.

ومن هذه الأحزاب والجمعيّات:

جمعية العهد السريّة

قليلون جدًّا من يعلمون أنّ مؤسّس الجمعيّة (عزيز علي المصري) ينحدر من أسرةٍ عراقيّةٍ تسمّى (آل عرفات)، كانت تقطن البصرة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، «وقد شرع عزيز علي وهو في الإستانة في تأليف جمعية سياسية سرية، توحّد صفوف العرب وتجمع كلمتهم، فكانت جمعية العهد التي شرع

١. راجع حسين الطائي موقف المنتفق من أحداث ١٩٢٠ في العراق،١٤٧.

في تكوينها بتاريخ ٢٨ تشرين الأول من سنة ١٩١٣م. وانضمّ إليها لفيف من العراقيين والسوريين)[١]، وبينما كانت هذه الجمعية تتحين الفرص لثورتها سرعان ما انفجر بركان الحرب العالمية الأولى؛ فخمدت نارها لوقتٍ ليس بالقليل، حتى إذا تطوّرت الحرب وأعلن الحسين بن علي شريف مكة الحرب على العثمانيين العاشر من حزيران عام ١٩١٦ م، ودخل الجيش العربي دمشق عام ١٩١٨م، جاءت فكرة إحياء الجمعية من جديد، فانشقّ أقطاب الجمعيّة إلى قسمين، وكلّ قطبٍ ينادي بتحرير القطر الذي ينتمي إليه، وعلى هذا انقسمت الجمعية إلى حزب العهد العراقي، وحزب العهد السوري. وقد تأسّس حزب العهد العراقي سنة ١٩١٩م.

جمعية حرس الاستقلال

ولما بحث المفكّرون فكرة انشقاق جمعية العهد عملوا على فتح فرع ثانٍ لجمعيّة العهد العراقي في بغداد وقد أصدر هذا الفرع (مجلة اللسان)، وانضمّ إليها السيّد محمد الصدر، والسيّد يوسف السويدي، والسيد ناجي شوكت، والحاج محمد جعفر أبو التمن، والشيخ محمد باقر الشبيبي وغيرهم، وأصبح لها فروعٌ في الكاظميّة، النجف، والحلة، والشامية وغيرها من الحواضر.

جمعيّة الشبيبة

وهي جمعيةٌ سريةٌ أيضًا من أبرز أعضائها السيّد محمد عبد الحسين، وعباس مهدي، وسامي خونده وغيرهم.

---

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص٤٧ . وانظر الأعظمي، أحمد عزت، القضية العربية، ٤/ ٥٣ .

جمعية النهضة الإسلاميّة

جمعيّة النهضة الاسلاميّة أسّسها مجموعةٌ من الفقهاء المتحمّسين للنضال ضدّ الإنجليز، يقف في مقدمتهم الشيخ محمد جواد الجزائري، والفقهاء المؤيّدون للدستور الذين عرفوا بفقهاء (المشروطة). أدّت هذه الجمعية دورًا فعّالًا في التحريض ضدّ الإنجليز، وكانت المسؤولة عمّا عرف بثورة النجف التي اندلعت عام ١٩١٨م، إثر تنفيذ عددٌ من رجال العشائر النجفيّة الذين كان يقودهم الحاج نجم البقّال (وهو عضو في جمعية النهضة الإسلاميّة) عملية اغتيال ناجحة للحاكم العسكري البريطاني لمدينة النجف الكابتن مارشال وعدد من الجنود الإنجليز في حامية المدينة. وقد جرّت هذه العملية على مدينة النجف العقوبات الانتقاميّة الوحشيّة؛ إذ فرض عليها حصارٌ قاسٍ، أعقبه دخول الجيش البريطاني إلى مدينة النجف لينفذوا عقوبات الإعدام بعددٍ من الثوّار في الساحات العامة في المدينة، وفي مقدمتهم الحاج نجم البقّال، كما نفي مؤسّس (جمعية النهضة الإسلامية) الشيخ محمد جواد الجزائري إلى جزيرة هنجام، وقد هدأ الوضع في المدينة بعد هذه الأحداث بشكل مؤقت، لكنّه ما لبث أنْ تفجّر مرةً أخرى بعد عامين إثر اندلاع التمرد العشائري الكبير الذي حصل في مناطق الفرات الأوسط، والذي عرف تاريخيًّا باسم (ثورة العشرين)، وكان لبقايا أعضاء (جمعية النهضة الإسلامية) دورٌ في قيادة التمرّد والاحتجاج ضدّ الوجود البريطاني في العراق[١].

وعندما أصبحت النجف مستقلةً، وانطوت صفحة العثمانيين، تقسّمت المدينة إلى أربع محلات، لكلّ محلة مسؤولٌ، ولهم دستور سمّي بـ(دستور

١. الطائي، صادق، شيعة العراق جزء من جهاد العثمانيين ضد الاحتلال البريطاني، https://web.archive.org. /

البراق)، وقد حضي ذلك التقسيم برضا فقهاء الدين وعلى رأسهم السيد محمد كاظم اليزدي، وقد أقام عُلماؤها ورجال الدين فيها صلاتٍ وثيقةً مع معظم أنحاء العراق والعالم الخارجي ولاسيما زعماء ورؤساء الفرات الأوسط، كما أقام العلماء في النجف كثيرًا من الندوات التي كانت تناقش القضايا السياسيّة، وتدار هذه الندوات من قبل رجال الدين البارزين، وكثيرٍ من المثقفين أمثال جواد الجزائري، وعبد الكريم الجزائري، وندوة آل شهيب التي يديرها محمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وغيرهم، وكان لهذه الندوات الأثر البالغ في تأسيس (جمعية النهضة الإسلاميّة)، إذ أصدرت الجمعية منهاجًا تضمن إحدى وعشرين مادة، أكّدت المادة السابعة منه على أنّ الجمعية فيها هيكل تنظيمي يتكون من ١٢ شخصًا على رأسهم المرجع الديني الأعلى للمسلمين.

جميع هذه الجمعيات كانت تنادي باستقلال العراق استقلالا مطلقًا، وتوحيد كلمة العراقيين على اختلاف مللهم ونحلهم.

وأما دور مراجع الدين في النهوض بالوحدة الوطنيّة ومقاومة المحتل، وخاصّة فتاوى الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي التي كان لها الأثر الكبير في ردع المحتلّ، والتهيئة للثورة وعدم الخروج عن مسارها الصحيح، وتعدّ مرجعيّة النجف الأشرف المرجعيّة الأولى في المجتمع الشيعي العراقي، حيث يمتدّ مقلدوها في بقاع مختلفة من العالم، وأبرز ما يميّزها هو العمق العلمي والزهد في الدنيا والحكمة، وهذا جعل من المجتمع يرتبط ارتباطًا قويًا بها، ويستجيب سريعًا لما يصدر عنها، ويؤكد تاريخ المرجعيّة الدينيّة على أنّها ومع الظروف القاسية التي مرّت بها بقيت صامدةً، تؤدّي دورًا استراتيجيًّا ليس على المستوى الشيعي فقط، بل على مستوى المسلمين عامة، في مدن مختلفة.

إذ كان للحوزة العلميّة الدينيّة وتوجيهاتها الدور الأساس في انبثاق ثورة العشرين التي تعدّ أول ثورةٍ في تاريخ العراق الحديث، فشكّلت منعطفًا تاريخيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقيّة الحديثة. أهميّة هذه الثورة تنبع من الظروف المحيطة بها التي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخّضت عنها، التي كان لها أثرٌ كبيرٌ في مستقبل العراق الحديث.

بدأت المواجهات المسلّحة وانتشرت في مناطق متعددة بالعراق، إذ اتّخذت الثورة في بادئ الأمر شكل مظاهرات من قبل الأهالي في بغداد، انطلقت من تجمّع الأعيان والأهالي في جامع (الحيدر خانة) الذي شهد بداية الثورة في بغداد، ثم مدينة النجف الأشرف التي نزح إليها من بغداد قديمًا، «الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٤٨ ه، وهو كبير علماء الإماميّة الشيعة في ذلك الوقت، والذي وبانتقاله إلى مدينة النجف فتح عهدًا جديدًا للنجف؛ حيث تحوّلت من مدينةٍ ومزارٍ إلى جامعةٍ علميّةٍ كبرى، علمًا بأنّ مدينة النجف كان لها قبل الشيخ الطوسي شأنها العلمي، وكانت مقصد الطلّاب للدراسة»[١].

وقد أفتى مجتهدو النجف الأشرف بالجهاد ضد الإنكليز في بداية الحرب العالمية الأولى، بعد أنْ وجدوا في هجوم الإنكليز على العراق تدخّلًا سافرا على وطنهم، فانخرط الشعب في أثرهم بقيادة المجتهد العالم السيد محمّد سعيد الحبوبي، ومعه كتائب العلماء وطلاب النجف، وساروا مدجّجين بالسلاح إلى ساحات القتال في معركة (الشعيبة) وغيرها. وبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق وإعلان الانتداب، دعا المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي ميرزا الشيرازي الشعب

١. انظر بحر العلوم، محمد مهدي، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي، جعفر، ٢/ ٢٠٠.

العراقي لمقاومة الاحتلال والثورة على الانتداب. ونلحظ أنّ الخطاب الحوزوي قبيل ثورة العشرين وخلالها اتّسم بمكانةٍ خاصّةٍ وموقعيّةٍ خطيرة، في التأثير عبر هندسة الوعي الجمعي، وصوغ توجه السلوك العام لما مثّله هذا الخطاب في نظر الأمة العراقيّة والخطاب الحوزوي هو الناطق الرسمي باسم المرجعيّة والمفصح عن مكنوناتها، والخطاب الحوزوي كان فاعلًا في تشكيل ملامح الثورة العراقيّة الكبرى، وفي يوم العشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٣٣٧ للهجرة النبوية الشريفة أصدر الإمام السيد محمد تقي الشيرازي (قدس سره) فتواه التي زلزلت أركان الاحتلال البريطاني الظالم الذي كان يحاول وبمراوغة مقيتة التدليس على الشعب العراقي الواعي والصامد تحت غطاء الانتخابات وتزويرها، حتى يتسنم – وباسم الحرية زورًا – عرش العراق، فنشر الاستعمار البريطاني في أرجاء العراق أنّه يريد إعمار العراق ومساعدة الشعب العراقي في النهوض إلى المصالح الشاملة والأفق السعيد، وقد تصدّى الإمام الشيرازي لهذه المراوغة بالفتوى التي تقول بالحرف الواحد: «بسم الله الرحمن الرحيم ليس لأحدٍ من المسلمين أنْ ينتخب غير المسلم في الإمارة والسلطنة على المسلمين. ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ»[١].

كما أسّس الإمام الشيرازي (قدس سره) على عقب هذه الفتوى مجلسًا لقيادة ثورة العشرين، يتكوّن من الأسماء الآتية:

١. السيّد محمّد رضا الشيرازي (قدس سره).

٢. السيّد محمّد علي هبة الدين الشهرستاني (قدس سره).

٣. الميرزا أحمد الخرساني (قدس سره).

٤. السيد أبو القاسم الكاشاني (قدس سره). الذي جرى اختيار أعضاء هذا

١. الحائري الشيرازي، محمد تقي، الحقائق الناصعة، ٨١.

المجلس في منزله في الكائن في مدينة كربلاء المقدّسة بعد عقد اجتماعٍ فيه حضره عددٌ من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف مناطق الفرات الأوسط، وتداول المجتمعون قضية الثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني، فكانت مثار جدلٍ بين مؤيد ومعارض[١].

٥. الشيخ مهدي الخالصي(قدس سره).

والميرزا محمد تقي الشيرازي (١٢٥٦-١٣٣٨)هـ «الشهير بالميرزا الثاني أو الميرزا الصغير، من مراجع تقليد الشيعة، هو الذي تزعّم ثورة العشرين في العراق وأصدر فتوى الجهاد ضد الاستعمار البريطاني، ولد في إيران، ثم هاجر إلى العراق، وأقام في كربلاء، ثم شدّ الرحال مع أستاذه الميرزا حسن الشيرازي إلى سامراء، وبعد وفاة أستاذه استلم زعامة الحوزة العليمة في سامراء، كما وتم تقليده من قبل بعض الشيعة، ثم أصبح مرجعًا مطلقًا للطائفة الشيعية، وذلك بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي .وقد حضر الميرزا محمد تقي درس زين العابدين المازندراني، وفاضل الأردكاني، والسيد علي تقي الطباطبائي، وفي سنة ١٢٩١ هـ التحق بحلقة درس الميرزا محمد حسن الشيرازي بسامراء مع زميله في البحث السيد محمد فشاركي الأصفهاني، وتزامنًا مع ذلك وبأمر من أستاذه شرع بتدريس جمعٍ من تلامذته وبعد أن توفّي أستاذه المجدد الشيرازي تعين خلفًا له بالأولوية، فقام بالوظائف من الإفتاء وتربية العلماء، وقد تخرّج من درسه جمعٌ من أجلّاء العلماء والمجتهدين»[٢].

نص فتوى الميرزا للعراقيين:«مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب

١. الجبوري، كامل سلمان، النجف الأشرف والثورة العراقيّة الكبرى، ٤٥.

2. https://ar.wikishia.net/

عليهم في ضمن مطالبتهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم»[١].

أصدر السيد محمد تقي فتوى سنة ١٣٢٩ هـ، وذلك بعد اعتداءات قوات الروس في شمال إيران وارتكاب المجازر بحقّ الأحرار الإيرانيين؛ بضرورة مواجهة المعتدين الروس، وقد أعلن الجهاد أيضًا مع بقية العلماء وكبار مراجع العراق ضدّ اعتداءات دول الحلفاء على الأراضي العثمانيّة، وذلك في بداية الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٤م

وهاجر الميرزا محمد تقي الشيرازي إلى كربلاء، وكان لانتقاله إلى هناك دور مهمٌّ في التنسيق بين علماء كربلاء والنجف واتصاله بالعشائر من أجل تنظيمهم وتأهيلهم لمواجهة المعتدي أصدر الميرزا محمد تقي فتاوى جهاديّة ثلاث، دعا فيها إلى استنفار عام للعشائر وجميع المسلمين، للتصدّي الاحتلال البريطاني، جاء ذلك بعد أنْ احتلّت القوات البريطانيّة مدينة الفاو العراقيّة؛ مقدمةً لاحتلال العراق، كما أرسل ابنه الشيخ محمد رضا نيابةً عنه إلى الكاظمية، وجبهات القتال لمشاركة المجاهدين في المعارك.

وبعد أنْ انتهت الحرب العالمية الأولى، واحتلّت القوات البريطانيّة العراق سنة ١٣٣٦هـ، تم إعلان الانتداب في البلاد، الأمر فعارض مراجع وعلماء الشيعة في العراق هذا الإعلان، فأسّس الشيخ محمد رضا نجل الميرزا محمد تقي الشيرازي منظمةً تحت عنوان (الجمعية الإسلامية)، وقد أسهم فيها رجال دين معروفين كالسيد هبة الدين الشهرستاني، وعبد الكريم عواد، وحسين القزويني، والغاية

١. نقلًا عن حرز الدين، معارف الرجال٢/ ٢١٧.

من تأسيس هذه الجمعية هو تحرير العراق والتصدّي لانتداب بريطانيا.

فتوى الميرزا في تأييد المقاومة المتصاعدة ضد المحتلين:

«أما بعد فإنّ إخوانكم في بغداد، والكاظمية، والنجف، وكربلاء، وغيرها من أنحاء العراق، فقد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع، والقيام بمظاهراتٍ سلميّة، وقد قامت جماعةٌ كبيرةٌ بتلك المظاهرات، مع المحافظة على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إنْ شاء الله بحكومةٍ إسلامية، فالواجب عليكم، بل على جميع المسلمين، الاتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف. وإيّاكم والإخلال بالأمن، والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإنّ ذلك مضرٌّ بمقاصدكم، ومضيّعٌ لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل، والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدًا منهم بسوءٍ أبدًا»[1].

إنّ الميرزا محمد تقي بادر للقيام بطرح قضية استقلال العراق ومقاومة المحتلين البريطانيين في الساحة العربية والدولية، فكتب بعض الرسائل بهذا الشأن، منها:

أرسل كتابًا مشتركًا هو وعددٌ من العلماء وبعثه إلى حاكم الحجاز الشريف حسين، مطالبًا إيّاه بدعم العراقيين لمواجهة اعتداءات المتجاوزين.

أرسل كتابًا آخر إلى الأمير فيصل في دمشق طلب منه دعم مطالب الشعب العراقي، ونشر ظلامية العراقيين في الصحافة الحرّة في كلّ أنحاء العالم، وإظهارها صريحةً للحكومات الأوربيّة والأمريكيّة للحصول على مقاصد الشعب العراقي العالية.

---

١. ثورة العشرين (١٩٢٠) في العراق.

بعد مدّةٍ قصيرة من انطلاق عمل الجمعية الإسلاميّة، بادرت بريطانيا بالقبض على أعضاء هذه الجمعيّة ونفيهم، ففي شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٧ هـ اعتقل ستة من أعضاء هذه الجمعيّة، وبعثوا إلى بغداد كي يتم نفيهم إلى الهند، وبعد أنْ علم الميرزا الشيرازي بهذا الحدث أرسل كتابًا إلى (آر نولد ويلسون) الحاكم البريطاني للعراق محتجًّا على القرار، ومطالبًا بإطلاق سراحهم، فسخط الميرزا على هذا الأمر، وعزم على مغادرة العراق نحو إيران حتى يصدر من هناك فتوى الجهاد ضد بريطانيا، عندما تم نشر هذا الخبر أُرسل إلى الميرزا كتب عديدة من النجف والكاظمية وبقية المدن العراقيّة لاصطحابه إلى إيران، فهذا القرار كان سببًا لعودة الذين تم نفيهم في أقلّ من أربعة أشهر إلى الوطن، وقد قام بتحريم العمل مع البريطانيين

كتاب الميرزا إلى الحاج جعفر أبي التمن: «سرّنا اتّحاد كلمة الأمة البغداديّة واندفاع علمائها ووجوههها وأعيانها إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة ومقاصدها المقدسة، فشكر الله سعيك ومساعي إخوانك وأقرانك من الأشراف، وحقّق المولى آمالنا وآمال علماء وفضلاء حاضرتكم الذين قاموا بواجباتهم الإسلامية»[١].

بدأت صفحة جديدة من المساعي لتعزيز المقاومة الشاملة ضدّ الاحتلال البريطاني سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، فأصدر الميرزا الشيرازي كأولّ خطوةٍ في هذا الشأن فتوى تحريم التعيين، والعمل في الدوائر التي تعمل بصالح بريطانيا وذلك في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨هـ/ أول مارس ١٩٢٠ م، وكانت حصيلة ذلك أنّه استقال عددٌ كبيرٌ من الموظفين، واستمرت هذه الوتيرة على هذا النحو، وقبل

١. الجبوري، وثائق الثورة العراقيّة الكبرى، ٣/ ٧١.

مدةٍ قصيرةٍ من إصدار الفتوى اجتمع الميرزا في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ هـ، بصورةٍ سريّةٍ بعلماء وشيوخ عشائر وزعماء الفرات الأوسط، وبموجبه تم قرار هجوم شامل من قبل الناس على الاحتلال البريطاني

وفي ليلة النصف من شعبان سنة ١٣٣٨هـ (٢١ أبريل ١٩٢٠) انعقد اجتماعٌ برئاسة الميرزا الشيرازي في منزله وخلال هذا الاجتماع ناقش المشاركون كيفيّة القيام والتصدي للاحتلال البريطاني، وعرضوا عليه بتلك الجلسه نواياهم، وتعهدوا له بأنّ فيهم القوّة الكاملة، فلم يزد فى أول مرةٍ على قوله: «إذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهّداتكم، فالله في عونكم»[١]، وبذلك أعلن الميرزا محمد تقي الشيرازي الثورة العراقيّة.

«كما استدعى الحاكم العسكري لبغداد بلفور عددًا من قادة الحركة الثورية إثر بعض النشاطات التي قام بها الثوريّون في بغداد، ووبّخهم وهدّدهم، فكتب الحاج جعفر أبو التمن أحد القادة إلى الميرزا الشيرازي مستغيثًا به لما حصل لهم من هذا الحاكم البريطاني»[٢].

«وتوفي الشيرازي مسمومًا في كربلاء يوم١٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ، عن عمر ناهز الثمانين، وصلّى عليه شيخ الشريعة الأصفهاني، ودفن في الزاوية الجنوبيّة للصحن الحسينيّ الشريف»[٣]. وبعد وفاة الشيخ الشيرازي قاد الثورة خلفه الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة، كانت النجف الأشرف مركزا للفقه والأصول ولبقية علوم الشريعة، حيث قاعدة العلماء والمجتهدين ومراجع الدين، «أمثال المجتهد الكبير محمد سعيد الحبوبي العالم والشاعر الكبير

١. آغا بزرك الطهراني، نقباء البشر، ١/ ٢٦٢ .
٢. البلدوي، تاريخ التشيع في سامراء، ٤٣ .
٣. حرز الدين، معارف الرجال، ٢/ ٢١٨.

والثائر والقائد السياسي، والسيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم. وثورة العشرين الكبرى تميّزت بما حملته من دلالاتٍ فكريّةٍ وجهاديّةٍ في مواجهة الاحتلال البريطاني لمدن البلاد»[١].

فكانت هذه الأسباب المتقدّمة مجتمعة عوامل انطلاق ثورة العشرين، وبعد انتشار عمليات التعبئة والاستعدادات للثورة في مدن الفرات الأوسط، عُقد مؤتمر للشيوخ في الشامية في مضيف الشيخ كاظم الحاج سِكر، حضره الشاعر محمد باقر الحلّي الذي أنشد قصيدةً وطنيّةً مؤثرة، وكتب المجتمعون عريضةً إلى الحاكم البريطاني (نوبري)، طالبوا فيها بالإفراج عن المعتقلين والاحتجاج على نفي ابن الشيخ الشيرازي، ولكن هذه المطالب لم تجد أذنًا صاغية، فاشتعلت الثورة في الرميثة إلى الشامية والحلة والكوفة، ثم انتشرت في مناطق العراق كافة. ولقد أدرك البريطانيون الدور الكبير الذي تلعبه الحوزة العلميّة في تحريك الجماهير في مواجهة قوات الاحتلال، والانصياع المذهل الذي تبديه العشائر العراقيّة لعلمائها، وما تمثّله هذه العشائر من ثقلٍ بشريّ قادرٍ على التأثير في مجرى الأحداث في العراق. وقد استوعب علماء الحوزة العلميّة ومن خلفهم العراقيون أنّ مواجهة الاحتلال لابد أن تكون بموجب خطّةٍ منظّمةٍ للقيام بعملٍ ثوريّ يستهدف إخراج القوات البريطانيّة من العراق، وإقامة حكومةٍ عربيّةٍ خاضعةٍ لدستورٍ تشريعيّ مقيّد.

واصل علماء الحوزة دعوتهم للجهاد ضد البريطانيين، مستفيدين من مشاعر الرفض والتمرد التي نمت وتعمقت في نفوس العراقيين، لا سيّما بعد أنْ أكمل البريطانيون سيطرتهم على كافة الأراضي العراقيّة نهاية الحرب العالمية الاولى

١. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، ٢٩٣.

بتوقيع هدنة (مودروس) عام ١٩١٨، لقد كانت العلاقة وثيقة وعميقة ومازالت بين الشعب في العراق والمرجعيّة، وهي علاقةٌ روحيّةٌ تجمع بين الدين والعقل والعاطفة، وقد تجلّت تلك العلاقة عند قيام ثورة العشرين، حيث تمّ نفي وترحيل العلماء الى إيران الذي كان لهم دورٌ فاعلٌ بثورة العشرين، وفي اليوم المحدّد لرحيلهم ذهب الناس لوداعهم وكانت حالة الحزن والبكاء والتضرّع باديةً عليهم وهم يودّعون العلماء.

وهذه الثورة هي ثورةٌ شعبيّةٌ كانت تهدف لإقامة دولة، وأعطت ٨٠٠٠ شهيد و٥٠٠ قتيلٍ في صفوف الإنكليز، وبحدود ١٢٠٠ جريحٍ، وبحدود ٦٠٠ مفقود، وكان عدد الأسرى الإنكليزيين كثيرًا لدى عموم العشائر.

نماذج من الآثار العلميّة والأدبيّة التي أنتجتها ثورة العشرين:

١	ثورة العشرين في مذكرات زعماء الثورة ورجالها «الأسباب والنتائج» - نقد وإعادة بناء -	الدكتور خلف جودة العكيلي، والدكتور محمد حموز لفتة الغانمي، والدكتور محمد جابر عناد العبودي
٢	مذكرات السيد محسن أبو طبيخ، خمسون عامًا من تاريخ العراق الحديث	السيد جميل أبو طبيخ
٣	ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي	أحمد كمال مظهر
٤	الوقائع الحقيقية في الثورة العراقيّة	علي البزركان
٥	فصول من تاريخ العراق القريب	الميس بيل
٦	المَلكية في العراق من ثورة العشرين حتى الانقلاب	عبد الكريم حسان
٧	الثورة العراقيّة الكبرى	عبد الرزاق الحسني
٨	من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق	سعاد خيري
٩	صفحات من مذكرات عبد الحميد الزاهد	عبد الحميد الزاهد

١٠	مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي	محمد رضا الشبيبي
١١	صفحة من مذكرات السيد سعيد صالح	السيد سعيد صالح
١٢	مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والثورة	تحسين العسكري
١٣	زعيم الثورة العراقيّة	علي عباس
١٤	على هامش الثورة العراقيّة الكبرى	فراتي
١٥	الثورة العراقيّة الكبرى	عبد الله فياض
١٦	مذكرات السيد سعيد كمال الدين	سعيد كمال الدين
١٧	مذكرات السيد حسين كمال الدين	حسين كمال الدين
١٨	مذكرات السيد محمد علي كمال الدين	السيد محمد علي كمال الدين
١٩	صحافة ثورة العشرين	الدكتور لقاء مكي
٢٠	ثورة العشرين دراسة في الأحزاب السياسيّة	كيكو سكاي
٢١	دور الشعب التركي في ثورة العشرين العراقيّة	ستار نوري
٢٢	ثورة العشرين في ذكراها الخمسين	محمد علي كمال الدين
٢٣	ثورة ١٩٢٠: قراءة جديدة في ضوء الوثائق التاريخيّة	عباس كاظم، ترجمة: حسن ناظم
٢٤	موجز تأريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأمريكيّة والمقاومة والتحرير وقيام الجمهوريّة الثانية	الدكتور كمال ديب
٢٥	ثورة العشرين العراقيّة، التاريخ وسياقات التلق	إسماعيل نوري الربيعي
٢٦	تجربة الثورة الإسلاميّة في العراق	الكاتب
٢٧	قصة ثورة العشرين وفتواها من كربلاء	محمد طاهر صفار
٢٨	نهضت شيعيان در انقلاب اسلامى عراق	عبدالله فهد نفيسى، ترجمه: كاظم چايچيان
٢٩	نهضت اسلامى شيعيان عراق	ويلى، جويس ان، ترجمه مهوش غلامى
٣٠	تاريخ انقلاب اسلامى ١٩٢٠ عراق	محمد صادقى تهرانى
٣١	مراجع ايرانى و قيام ١٩٢٠ شيعيان عراق	سجاد نعمتى نورالدين دادفر
٣٢	موجز تاريخ العراق السياسى الحديث	مختار الأسدي

٣٣	ثورة العشرين، قرن مضى والثورة بين الطموحات الوطنيّة والاستثمار السياسي لها	أ. د. فلاح حسن الأسدي
٣٤	الوثائق البريطانيّة عن العراق	لاروش، ترجمة كاظم سعد الدين
٣٥	العراق ١٩٠٨- ١٩٢٠م، دراسة اجتماعية -سياسية	غسّان العطية
٣٦	الجذور السياسيّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربية (الاستقلالية) في العراق	وميض جمال عمر
٣٧	ثورة العشرين الوطنيّة التحرّرية في العراق	كوتلوف ترجمة د. عبد الواحد كرم،
٣٨	وثائق وكتب جديدة عن الثورة في العراق سنة ١٩٢٠م، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد، ١٩٧٤)	عبد الله الفياض
٣٩	أساليب الاستعمار في مكافحة الحركة الوطنيّة في العراق	د عبد الجبار عطيوي
٤٠	ثورة العشرين وأهمّيتها في ضوء أصدائها الخارجيّة	كمال مظهر
٤١	ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي	كمال مظهر
٤٢	أهميّة ثورة تلعفر في ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠م	محمد يونس السيد عبد الله السيد وهب
٤٣	احتلال العراق، مشاهدات مراسل حربي مرافق للجيش البريطاني	إدموند كاندلر، ترجمة: محمد حسن علاوي وخضر علي سويد
٤٤	أيام فيلبي في العراق	جون فيلبي، ترجمة جعفر خياط
٤٥	تاريخ العراق بين احتلالين	عباس العزاوي
٤٦	تاريخ القضية العراقيّة	الشيخ محمد مهدي البصير
٤٧	تاريخ مقدرات العراق السياسيّة	الفريق الركن محمد أمين العمري
٤٨	ثورة العراق ١٩٢٠	إلمر هولدين، ترجمة: فؤاد جميل
٤٩	ثورة العراق التحررية	كاظم المظفر
٥٠	ثورة العشرين، أسبابها ونتائجها	حارث الضاري

٥١	مقاومة عشائر الفلوجة للاحتلال البريطاني ودورها في ثورة العشرين	د. حاتم حميدي الضاري
٥٢	ثورة العشرين في التحليل الاجتماعي: علي الوردي أنموذجًا	شاكر سعيد ياسين
٥٣	لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث	علي الوردي
٥٤	الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة ١٩٢٠	فريق مزهر آل فرعون
٥٥	بغداد وثورة العشرين	محمود عطية
٥٦	ثورة العشرين في ذكراها المئوية التكامل بين العمل الثوري والهوية الوطنيّة	بحوق المؤتمر العلمي
٥٧	ثورة العشرين الخالدة	أياد مهدي عباس
٥٨	بعد مئة عام ثورة العشرين حاضرة في ضمير الأمة	علي جاسم السواد
٥٩	ثورة العشرين قراءة في ضوء منهجيّة الدراسات الثقافيّة	إسماعيل نوري الربيعي
٦٠	دور الحلة في ثورة العشرين	إعلام تراث الحلة
٦١	ثورة العشرين في الشعر العراقي	إبراهيم الوائلي
٦٢	شاعرات في ثورة العشرين	علي خاقاني
٦٣	أثر شعرية التمرد في شعر ثورة العشرين	سعد عبد السادة مزعل
٦٤	الشعر العراقي الحديث	يوسف عز الدين
٦٥	ديوان الحويزي	الحويزي
٦٦	ديوان الشبيبي	الشبيبي
٦٧	البركان	محمد مهدي البصير
٦٨	ثورة العشرين بين ذاكرة التاريخ وشهادة الأبطال	علي ناصر الكناني

٦٩	دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ١٩٠٠-١٩٢٠	سليم الحسن
٧٠	عبد الحسين الحلي شيخ الشريعة وقادته في الثورة العراقيّة الكبرى	كامل سليمان الجبوري
٧١	موقف الحوزة العلميّة في النجف الأشرف من التطورات السياسيّة في العراق	رسالة ماجستير غير منشورة عادل الياسري
٧٢	جهاد السيد نور الياسري في ثورة العراق التحريرية ١٩٢٠ وصناعة الوطنيّة	علاء عباك نعجة
٧٣	محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠	رسالة ماجستير غير منشورة باسم الغانمي
٧٥	بغداد في ثورة العشرين	رسالة ماجستير غير منشورة قاسم عبد الهادي
٧٦	دور البغداديين في ثورة العشرين	كامل سلمان
٧٧	النجف الأشرف والثورة العراقيّة الكبرى حقائق ومذكرات من التاريخ السياسي لم ينشر بعضها من قبل	محمد صادق بحر العلوم
٧٨	الكوفة في ثورة العشرين	سلمان هادي آل طعمة
٧٩	أهالي لواء العمارة وثورة ١٩٢٠ دراسة في ضوء نظرية التحدي والاستجابة	علي عباس
٨٠	مذكراتي عن الثورة العربية والثورة العراقيّة	تحسين العسكري
٨١	مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨-١٩٤٨	محمد مهدي كبة
٨٢	صحافة ثورة العشرين وموقف صحف بغداد من الثورة	صالح الطائي

٨٣	ثورة العشرين في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية	فارس الجبوري
٨٤	وقائع ثورة العشرين في ضوء مواد صحيفة العراق	رسالة ماجستير غير منشورة
٨٥	الدور الوطني لعشيرة البو سلطان في ثورة العشرين	رسالة ماجستير غير منشورة هيفاء الهيمص
٨٦	الحقائق الناصعة في ثورة العشرين ونتائجها	عبد الشهيد الياسري
٨٧	البطولة في ثورة النجف	كاظم المظفر
٨٩	معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيّة ١٩٢٠	محمد علي كمال
٩٠	مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح	سالم الجبوري
٩١	أحداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان	تحقيق حكمت رحماني
٩٢	مذكرات الحاج عبد الرسول تويج من رجال الثورة العراقيّة ١٩٢٠	محمد كمال الدين
٩٣	مذكرات كاطع العوادي أحد رجال ثورة العشرين	تقديم وتعليق كامل الجبوري
٩٤	مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨-١٩٤٨	علي البزركان
٩٥	لواء الدليم في عهد الحكم البريطاني المباشر على العراق ١٩١٧-١٩٢٠م	رسالة ماجستير عمر الشلال
٩٦	موقف الحوزة العلميّة في النجف الأشرف من التطورات السياسيّة في العراق ١٩١٤-١٩٢٤	رسالة ماجستير إخلاص لفتة الكعبي
٩٧	شيخ العشيرة ودوره السياسي في العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٢٣	جاسم حسنين الصكر
٩٨	دور المرجعيّة الدينيّة في أحداث ثورة العراق الكبرى	محمد عبد علي القزاز
٩٩	ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي	عبد الحسين مبارك
١٠٠	ثورة العشرين إطارا سرديا	حسين مليتات

المطلب الثاني: دور الحركة الأدبيّة في ثورة العشرين

الأمر الأول: دور الشعر والشعراء في ثورة العشرين

يتناول هذا الأمر الأثر الشعري المتمرد الذي تركه لنا شعراء ثورة العشرين، والدور الذي أدّوه عبر قصائدهم الثورية، في استلهام الروح الثورية للجمهور، وكيفية تناول قصائدهم للثورة، فقد تركوا أثرًا كبيرًا في المجتمع العراقي من خلال كلماتهم الوطنيّة إلى يومنا هذا.

وكانت مهمة الشعراء أنْ يوصلوا رسالة الثورة بأسلوبٍ أدبيّ مؤثّر لمواجهة الاحتلال، ووجوب مقاومته، ونذكر مجموعةً من النماذج :

الشاعر محمد رضا الشبيبي وقصيدته (دمشق وبغداد)[١]:

ماذا بنا وبذي الديار يُرادُ ... فُقِدت دمشق وقبلَها بغدادُ
من موطن الميعاد قامت نُزَّعًا ... خيلٌ لهن بجِلَّقٍ ميعادُ

ونرى من مقدمة القصيدة أنّها بدأت بسؤال، والسؤال يحتاج إلى جواب، وكأنّ الشاعر يتكلّم عن ضمير حال الشعوب، فنراه يستخدم أسلوب الالتفات في اللغة بغية تحريك النفوس.

و«نشير إلى دور الشاعر الشبيبي في الثورة ضد الإنجليز، وتأييد الدستور العثماني (١٩٠٨). وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى، وزحف الجيش الإنكليزي نحو بلاده، كان شاعرنا متطوّعًا بقيادة العلّامة السيد محمد سعيد الحبوبي إلى جانب الجيش التركي، وحضر معركة الشعيبة. ثم وقف – حين دخل

١. وُلد محمد رضا الشبيبي في النجف الأشرف في ٦ رمضان سنة ١٣٠٦هـ، ونشأ فيها وتلقّى العلوم والآداب؛ فدرس في مدارس تلك الحاضرة الكُبرى على أساتيذ مُختلفين عرب وعجم، ولا ريب في أنَّ الأُستاذ الشبيبي من أقطاب الحركة الفكرية والنَّهضة الوطنيّة في ديار العراق.

الإنكليز بغداد - في الحادي عشر من آذار من عام ١٩١٧م أمام (السير ارنولد ولسن) الحاكم البريطاني قائلًا: إنّ العراقيين يرون أنّ من حقّهم أنْ تتألّف حكومةٌ وطنيّةٌ مستقلةٌ استقلالًا تامًا. وقد تولّى مسؤولية مكتب النجف لجمعيّة الاتّحاد والترقّي التي عملت على إقامةٍ حكومةٍ وطنيّة. وكان وثيق الصلة بالبلاط الملكي الهاشمي، فلعب أدوارًا سياسيّةً بارزةً منها: سفرته إلى بلاد الحجاز لمقابلة الملك الحسين بن علي في إطار التأسيس للمملكة، وسمّي بسفير ثورة العشرين»[1].

الشاعر محمد مهدي البصير وقصيدته (صوت الشعب)[2]

لئن لم يمضِ في كفّي سلاح ... فلا ينبو على الضراء خلقُ
يحاسبني على الحسنات قومٌ ... جزوني بالذي لا أستحقُّ
نصحتهم بإلّا يستكينوا ... فهل في مثل ذا أبدًا أعقُّ

لقد استخدم البصير أداة الشرط (لئن) في الشطر الأول، وكلمة (ينبو) في الشطر الثاني، ونلاحظ الربط ما بين الشرط والتنبوء للمستقبل المرّ الذي حاول الشاعر تبيانه للجمهور، كما يوجه العتب إلى كلّ من لم ينصفه في حب الوطن

هم المستعبدون كما أرادوا ... فليس لهم كما أمّلت عتقُ
بردن دماؤهم فجمدن خوفًا ... فلم ينبض لهم بالمجد عرقُ
وقادوا شعبهم كي يسلموه ... ولكن مالصوت الشعب خنقُ

1. https://ar.wikipedia.org. /

٢. وُلد محمد مهدي في الحلة الفيحاء سنة ١٣١٣ هجرية، وتتصل أسرته بقبيلة كلاب، وهي أسرة دينية تتبادل المقام المنبري على سبيل الإرث، اشتُهر منها بضعة رجال في العلم والأدب قديمًا. نشأ في مسقط رأسه، وبعد أن تعلم المبادئ قرأ على جملة مدرسين قديرين شيئًا من النحو والصرف والمنطق، وقد حصَّل بالمطالعة نصيبًا ليس بالقليل من العلوم العصرية، مع أنّه فاقد البصر.

حاول الشاعر بين ماهية الاحتلال، وعدم الركون إليه أو الوثوق بوعوده، كما يندد بقادة الشعوب الذين استسلموا للمحتل، وحاولوا أنْ يجعلوا الشعوب تسلّم للأمر الواقع للاحتلال، إلّا أنّه يؤكّد على عدم إسكات صوت الشعوب الثائرة المقاومة، وقد لُقّب الشاعر البصير بشاعر ثورة العشرين لما كان له دورٍ واضحٍ في استنهاض الشعوب ــ من خلال أدبه وشعره ــ للثورة ومقاومة الاحتلال، وله قصيدةٌ شعريةٌ معروفةٌ كانوا يرددونها في التظاهرات عنوانها (لبّيك أيّها الوطن):

إن ضـــاق يــا وطنــي عــليَّ فضــاكا
فلتتســـع بـــي للأمـــام خــطاكا

بعثــت ثــراك دمـــي فــإنْ أنــا خنتهــا
فلتنبـــــــذني إن ثويـــت ثــراكا

بــك همْــتُ أو بالمــوت دونــك في الوغــى
روحــي فــداك متــى أكــون فــداكا

هجعــات جفنــي لا يَمُــرُّ بــه الكــرى
مــا دام جفنــك طافحًــا بكـــــراكا

لــك قــد خُلقــت ومنــك فيك فنســبتي
تقضـــي عــليَّ بأننـــي أرعـــاكا

أتُــراك تضـــمن لي كرامــة مــصرعٍ
فيــهِ أبيــت مجــاورًا صــــــرعاكا

كـــم أورثتك يد السيــاسة عـــــلة
فــاشرب دمــي وأظــن فيــه شــفاكا

ونلاحظ في هذه الأبيات أنّ الشاعر استعمل أسلوب الحديث والمناجاة مع الوطن، والتعبير عن الهيام وشدة الحب، وتقديم أغلى ما يملك، وهي روحه في سبيل تحريره من المحتل، فيريد استنهاض الشعب لتقديم أغلى وأنفس ما يملكونه قربانًا لوطنهم وأرضهم.

ولا يخفى أنّ الشاعر البصير من «مؤسّسي حزب حرس الاستقلال في العراق عام ١٩١٩ م، وعضو الحزب الوطني العراقي بقيادة جعفر أبو ألتمن عام ١٩٢٢ م لقّب بشاعر ثورة العشرين لما قدمه من شعر فيها، وفي كل قضايا العراق الوطنيّة. درس في جامعة مون بلييه في فرنسا ١٩٣١ ــ ١٩٣٧م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الفرنسي. عمل أستاذًا في دار المعلّمين العالية في جامعة بغداد حتى تقاعد في ستينات القرن العشرين»[1].

ولما كانت الأسّس التي انطلق منها معظم الشعراء في التحشيد والتعبئة الجماهيريّة هي الخطب والمناسبات الدينيّة، فهم لم يتركوا القضية الأساس وهي الاحتلال، فكانت في النجف تقام الحفلاتُ الدينيّةُ، والمواليد والتعزية الحسينيّة في جامع الهندية، والشعراء كانوا يلقون الشعر التحريضي ضدّ الاحتلال أمام الجماهير.

الشاعر محمد باقر الحلي بقصائده وخطبه

وهو: محمد باقر بن ناصر بن حُسين الحسينيّ الحليّ، من أُسرة آل عزّام المُلقّب بـ(العالم)، وهو الأخ الأكبر للمرحوم طه باقر المعروف بقارئ الطين، ولد في الحلة محلّة الطاق سنة ١٨٩٤م، كان من أوائل المُشاركين في ثورة النجف سنة ١٩١٨م، منظمًّا إلى جمعيّة النهضة الإسلاميّة، وله مُشاركة فاعلة في مُحاربة

1. https://ar.wikipedia.org/

الإنكليز، وقد زُجَّ في السجن ثمّ هرب منه ملتجًا إلى منطقة الياسريّة جَنوب مدينة النجف، فأسّسَ فيها مدرسة لتعليم الأولاد في (الشاميّة)، وشارك في استنهاض الهمم لمُحاربة الإنكليز المُحتلّين، وكان في طليعةِ من أشعل الشرارة الأولى لِثورة العشرين، وقال محمد علي كمال الدين في مذكّراته عن ثورة العشرين: «أنّه دُعي محمد باقر إلى اجتماع الشاميّة الذي حضره كبار المشايخ من قبائل آل فتلة والخزاعل والغزالات، والعوابد، والسادة الياسريّين يوم ١٥ شوال ١٣٣٨م، في مُضيف عبد الكاظم سكر، للتداول في محنة العراق والعراقيّين مع مُحتل جديد، ووفد على ذلك الاجتماع قادة إنكليز منهم: (الميجر نوريري) حاكم النجف والشاميّة، و(هوبكنز)، وحاكم أبو صخير ومُعاونه (مصطفى أفندي خرمة السوري)، وسبق ذلك زيارة الشيخ مجبل الفرعون، وكان من بين الحضور السيد محمد باقر الحليّ، وبعد إنْ اكتظ المجلس، صعد المنبر الذي كان في المضيف دون مقدّمة أو استئذان وراح يُلقي قصيدة:

بَني العُـــربِ لا تأمنوا للـــعِدا مـــكرا
خـذوا حذركـم منهم فقـد أخـذوا الحذرا

يُريدونَ منـــكم بالـــوعـــودِ مكـــيدة
ويبغـون إنْ حانـت بكـم فرصـة غـــدرا

تُريـــدون بالأقـــلام إنـــجاح أمـــركم
وهـل تنفع الأقلام مـن حطّـــــم السّرا

يخـوضُ عِبـابَ البحـر من طلـب الذُرى
يَلقـــى ظـلام الليـل مـن عشـــق الزهرا

ومـن مـاتَ دون الحـقِّ والحـقُّ واضـحٌ
إذا لم ينـلْ فخـرًا فقـــد ربـح العـــذرا

بَني العُـــربِ لا تأمنوا للـــعِدا مـــكرا

خـذوا حذركـم منهم فقـد أخـذوا الحذرا

فسكتوا سكوتًا عميقًا إلى أنْ أكمل القصيدة، وأعقبها بخطبةٍ أوقدت نار العزيمة والثورة في نفوس الحاضرين، وكان من بينهم زُعماء قبيلة الخزاعل، قائلًا: «يا زُعماء الخزاعل إنّ قبيلتكم كانت تُسمّى خُزاعة، وقد دخلت بيعة النبيّ محمد ﷺ، وكان الحلف بين النبيّ وبين قريش ألّا يؤذوا مُبايعيه، غير أنّ قرشيًّا شجّ رأس أحد الخزاعيّين، فشكا ذلك إلى النبي فغضب النبيّ ﷺ، وقال: (لا ينصرني ربّي إن لم أنصر خُزاعة)، فجيَّشَ جُيوشه التي كان لها فتح مكّة، وأنتم يا زعماء خُزاعة هكذا انتصر لكم النبي وغضِب لأجلكم، فمتى أنتم تنتصرون له؟! أمّا في الآخرة فأنتم أحوج إليه منكم. عندها ثار أحد زعماء الخزاعل وهو الشيخ سلمان العبطان وسلّ سيفه، ووقف قبال محمد باقر، وهزَّ السيف في وجهه، قائلًا: (عد وجهك، أنا أخو فاطمة)، فنهض جميع من حضر، وهوّسوا بحضور الإنكليز: (بس لايتعلّگ بأمريكا)»[١]، قاصدًا هُنا ألّا تستنجد بريطانيا بأمريكا كما فعلت بالحربِ العالميّةِ الأولى. «أسرع الإنكليز إلى بواخرهم وتبعهم أطفال القبيلة يقذفونهم بالحجارة، فكانت تلك الشرارة الأولى لبدأ ثورة العشرين».

بعد أنْ شاع خبر محمد باقر وقصيدته ومحاججته للخزاعل، قام جميع من حضر ذلك المجلس بتحرير رسالة إلى شيوخ الرُميثة يستنهضوهم للثورة بوجه المُحتل، فوجد السيد علوان الياسريّ حامل الرسالة أنّ الشرارة قد قدحت باعتقال الشيخ شعلان. ويروي د. إبراهيم الوائلي في كتابه (ثورة العشرين في الشعر العراقيّ) أنّه: «تم التوجّه لمساندة السيد گاطع العوّاديّ في مسعاه، وبهذا

١. كمال الدين، محمد علي، مذكرات الحاج عبد الرسول تويج من رجال الثورة العراقيّة ١٩٢٠، ص٧٧.

الشأن فقد سرت عدوى تلك الحفلات إلى النجف عن طريق السيد العوّاديّ، فعندما عاد إلى النجف في أواخر رمضان اتفق مع السيد علوان الياسريّ، والشيخ عبد الكريم الجزائري، على إقامة اجتماع سياسي تحت ستار التعزية الحُسينيّة، وطلبوا من السيد محمد باقر الحليّ نُظم قصيدة بالمُناسبة، وأقيمَ الاجتماع في الجامع الهنديّ واكتظّت ساحة الجامع على سعتها بالناس، واُختير السيد محمد علي قسّام ليكون قارئ التعزية، وقراءة المقدمة (الهدية) للسيد محمد باقر الحليّ، حسب العادة، في مجالس التعزية، وبدلًا من أن يُلقي قصيدة رثاء الحُسين عليه السلام ألقى قصيدةً سياسيّةً كان قد كُلِّفَ بنُظمِها، منها:

يا شعبُ كيفَ حِمى عُلاكَ ... يرامُ وبنوك بعدَ العزّ كيف تُضام

هذي الذئاب لهم فيك مسارحٌ ... فليحمِ منك عرينه الضرغامُ

هُم يطلبون على العراق وصاية ... عجبًا فهل أبناؤهُ أيتامُ

حتّى اليهود يوقرون وحقهم ... يرعى وحقّ المُسلمين يُضامُ

وله قصيدة لسان حال الشعب، منها[1]:

سأبقى وإنْ لم يعبؤوا بإرادتي ... أضجّ الى أنْ يسمع الحقّ سامعُ

١. المصدر السابق (بتصرّف)

وكـي لا يقولوا جاهلٌ متـــــــــــهورٌ
تســـرّع فيـما رام والوقت واســـــــعُ
أردّدُ صـوتي مـرّةً بعـد مـــــــــــرّةٍ
ليحسـن فيما بعد مـا أنا صـــــــــانعُ

ويذكر الدكتور علي الوردي «ونسيَ الحاضِرون أنفسهم عند سماعهم تلك القصيدة مع العلم أنّ التصفيق غير جائز في مجالس التعزية الحُسينيّة»[١]. ومن الشعراء الذين أيدوا الثورة

الشاعر الشيخ محمد علي اليعقوبي: وجاء في قصيدته[٢]

أحبتنـا في سـاحات الكفـاحِ
ثقـوا بالنـصر فيهـا والنجـاحِ
نفرتـم للوغـى لمـا دعاكـم
لهـا الداعـي بشـوق وارتيـاحِ
ففزتـم بالفخـار بهـا وآبـت
أعاديكـم بخـزيٍ وافتضـاح
وإنْ ورائكـم شـعبًا كريـمًا
أبيًّـا لا يـراض عـلى الجنـاح

نرى الشاعر قد استخدم أسلوب الترغيب في القصيدة، وجعل القصيدة تقريرًا للمستقبل، فنلاحظ في كلمة (ثقوا) أنّه يؤكد لهم النصر ليزيد من سكينتهم وعزيمتهم، ثم ينتقل إلى المديح بقوله: (نفرتم للوغى)، وهذه القصيدة كانت

١. لمحات من تاريخ العراق، ٤٠.
٢. الوائلي، إبراهيم، ثورة العشرين في الشعر العراقي، ٧٩.

لمؤازرة الثوار المرابطين، فأبدع فيها الشاعر من الناحية الأدبيّة والمحسنات اللفظيّة.

الأمر الثاني: دور الشعر الشعبي والأهازيج و الهوسات في ثورة العشرين

تنبع أهميّة الأدب الشعبي في كونه شكلًا من أشكال التواصل الاجتماعي، يعبّر عن رغبةٍ محمودةٍ في بناء هويّةٍ ثقافيّةٍ جماعيّةٍ قادرةٍ على حفظ وحدة الجماعة وقيمها ونمط عيشها وعاداتها وتقاليدها. وإنّ أشكال التعبير في هذا الأدب من التنوع والتعدد ما يجعلها على درجةٍ عاليةٍ من الرسوخ والثبات في مقاومة كل أشكال الحداثة الغربية الزاحفة والمسخ الثقافي، وما من أمة إلّا وتملك ثقافةً شعبيّةً تحفظ ماضيها وتراثها الثقافي، وتعكس رؤيتها للعالم ونظامها الأخلاقي ومرجعيتها الفكرية التي تنبع من أصولها وتعبر عن قيم أسلافها ا لأوائل الذين يحظون بالتقديس والتمجيد والتبجيل في كلّ الثقافات ولدى كل الجماعات الثقافية.

والهوسة هي فنٌّ أدبيّ شعريّ تميّز به أهل العراق، وتكون باللهجة العراقيّة و«قد تبدو أنّ اللهجة العراقيّة صعبة وعير مفهومة للبعض؛ لوجود مفرداتٍ لفظيّةٍ لا تستخدم في بعض الأقطار العربية، لكن أثبتت الدراسات الأثرية الحديثة أنّ الكثير من المفردات المتداولة في اللهجة المحكية العراقيّة تعود إصول سومرية وآرامية وسريانية»[١]. وتعدّ من العناصر المهمة في إثارة الهمم وإيقاظ العزائم، وإعطاء القوة مما يساوي في تأثيرها النفسي ما تساويه الآلة الفاتكة في يده، ولها فعل السحر في لإثارة العواطف وبعث الحماس في النفوس، وللأهازيج

١. انظر طه باقر، من تراثنا القديم اسبانيو موسكاني وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، تعريب مهدي المخزومي.

قصصها، ونجد فيها اتساق الوزن وقوة المعنى الذي يجنح أحيانًا إلى تشبيهاتٍ مرعبةٍ متخيلةٍ، وهذا يعود إلى العفوية، وإنّه ابن اللحظة؛ لذا خلا من الصنعة المفتعلة فأضفت عليه الرقّة والتعجّب والتأمل إلى كيفية المعنى التراجيدي.

وعروضيا تعدّ (الهوسة) من بحر الخبب - حركة الخيل - هكذا صنّفها الخليل بن احمد الفراهيدي، وتعتمد بتفعيلتها على (فعلن) مكررة، وتسمّى لدى الشعراء الشعبيون بـ(الهوسة)، ومنهم من يسميها (أعكيليّة) نسبة لعشائر العكيلات، وسُمّيت غير ذلك.

ومنهم من سماها (الأهزوجة)، ورأى بعضهم أنّها من الهزج (التجليبه)، وأمّا الهوسة (عكيلية)، وهي نوعٌ من أنواع الشعر الشعبي أيضًا، وهناك خطأ شائع يقع به الشعراء حيث يسمون (الهوسة) بـ(العراضة)، و(العراضة)، قد يكون من معطياتها (الهوسة)، و(العراضة) يعرفها أهل الوسط والجنوب العراقي وبخاصة أهالي الفرات الأوسط، وللعراضة مراسيم خاصة لسنا بصددها، كعراضة المتوفى، وعراضة الزواج، وعراضة (تشييخ) أحدهم لعشيرته، وقد فعلت (العراضة) فعلها في نفوس رجالات العشائر إبّان ثورة العشرين.

تكتب الهوسات بكافة أوزان الشعر الشعبي كالموشح، والتجليبة، والنصاري، وهذه هي الأوزان الشائعة غالبًا، ومنهم من يكتبها بأوزان أخرى، مع ملاحظة أنّ الأبيات التي يكتبها الشاعر (المهوال) غالبًا لا تزيد على ثلاثة أبيات يختمها بالـ(هوسة)، والتي يجب أنْ تكون على تفعيلة الخبب (فعلن)، لكي يؤدي المجتمعون مع (المهوال) الحركات التي تتواءم مع أهزوجته، وتتخلل الأهزوجة حركات راقصة من مؤدّيها جميعًا، وغالبًا ما يحمل الشاعر بيده بندقيته ويرقصها، ويطلق الآخرون عيارات نارية من بنادقهم.

وتاريخيًّا يمكن القول إنّ الأهازيج والهوسات ليست حديثة العهد في الاستخدام للحروب، بل استخدمت قبل الإسلام، وفي الإسلام فدور الأراجيز التي وردت في كتب التاريخ في معارك النبي ﷺ ونهضة كربلاء كان دورًا فاعلًا في رفع المعنويات وتثوير الحماسة في النفوس بفارق أنّ الأرجوزة فصيحة، والهوسة والأهزوجة عامية، ويصاحبها حركات دائرية أقرب إلى الرقص الجماعي الحماسي للمجتمعين، ويمكن عد الهوسة والأهازيج لونًا غنائيًّا فلكلوريًّا عراقي أصيل، ويعد من أكثر الأنماط الشعبيّة ارتباطًا بالمجتمعات الريفية.

وإذا أراد المهوال إلقاء الهوسة يقوم بإطلاق صوت منبّها الحشود قائلًا: (ها ها ها)، والقصد منها هو لفت انتباه المجتمعين حتى يسود السكون بينهم؛ ليلقي عليهم ما يريد، فيلقي عليهم ثلاثة أبيات من الشعر الشعبي ذات الوزن الواحد، والمعنى مختلف، ثم يختمها بالرباط (الردسة).

والجدير بالذكر «أنّ البيرغ أو الراية التي رفعها السيد علوان الياسري وهو يقود جموع المجاهدين في ثورة العشرين في مناطق الفرات الأوسط، وقد كتب الأديب العالم محمد الحلي بخط يده الآية الشريفة ﴿أُذن للذين يُقاتلون بأنّهم ظلموا وأنّ الله على نصرهم لقدير﴾[1]، هي أول رايةٍ في تاريخ العشائر العراقيّة تحمل كتابة عليها وترفع للثورة الكبرى، حملها المجاهد معارج آل محيميل، وسارت خلفها أول حربية (كتيبة) للمجاهدين يقودها السيد علوان الياسري، ويرافقه الأديب الحلي ومن الأهازيج التي كانو يرددوها

١. سورة الحج

بــيرغ الحــرب ترفــرف
فــوك روس النشــامه
يـــا حبيبـــي تحضـــر
طــارش المــوت إجانــه[1]

وأيضًا من هذه النماذج أهزوجة قالها رباط الفتلاوي في بدء الثورة العراقيّة الكبرى: (يزليخا ليوسف تاليها)، قاصدًا البريطانيين وموضّحًا أن سياستهم ستكشف حتى يعود الحكم للعراقيين كما عادت زليخا ليوسف[2]. وأيضًا جبهة الرميثة والسماوة التي سمّيت بجبهة العوجة ظلّت صامدةً حتى نهاية الثورة فانهالوا عليها بالحمد والثناء ومن هذه الأهازيج: (ثلثين العفرن للعوجة)، والعفرن (عفرم) كلمة تركية أصلها آفرم وتقال للدلالة على المدح والثناء.

ونذكر خير نماذج من الهوسات التي تردّدت في مناطق الفرات:

للشيخ سعدون الرسن شيخ عشائر الأكرع في الديوانية ــ وهو ممن عرف بالشجاعة والإقدام، فضلًا عن مهاراته في نظم الهوسات ــ أهزوجة طريفة استحضر فيها بعض مفردات من كتاب الله العزيز، يقول فيها (سجيل أمطر جيت اعليها). وهو يصف كيف أنّ الثوار أقدموا بالهجوم على القوات البريطانيّة دون مبالاة بقوة السلاح وحداثته وهو يصفهم بحجارة السجيل[3].

وكان موقف قبائل آل ازيرج في مقارعة البريطانيين موقفًا مشرّفًا فعندما تقدمت قواتهم بقيادة الجنرال البريطاني هاملتن مع جيشه من الناصرية باتجاه

١. العكيلي، حيدر خلف، أهازيج ثورة العشرين، ٧٢.
٢. المصدر نفسه ١٩١.
٣. ص١٨٠

الكوت، ووصولهم إلى منطقة سويج خفاجة قرب باهيزه - هي أراضي منبسطة تقع شمال محافظة ذي قار بنحو خمسة كيلو مترات - التابعة لمدينة الشطرة دارت على صيغة الهوسة: (شرناها أو عيّت باهيزه)، أي استشرنا باهيزة وامتنعت أنْ تعبروا، وأكمل شخص ثانٍ: (شرناها وكالت ماريده)، بمعنى أنّها لا تريد الأجنبي، ولم تقبل بعبور قواته، وتمم ثالث تلك الأهزوجة: (شرناها وكالت كتالي)، أي قاتلي وخصمي، فلا أقبل بعبوره، وقال آخر: (شرناها وكالت مايعبر)، أي عدم السماح له بالعبور، وقال خامس: (شرناها وكالت من داري)، أي إنّ هذا الأمر مستحيل حدوثه، عندها أدرك البريطانيون المراد من تلك الأهزوجة، وولوا منسحبين عن المنطقة.

كطّان حميّد صرت آنا

أي إنّني أصبحت مثل (كطّان حميّد)، والكطّان هو (القطّان) نوعٌ من السمك معروف في جنوب العراق، وهذه الهوسة تشير إلى قصة معروفة في زمانها: وهي عن سمّاك يدعى حميّد (تشديد الياء للتصغير) ألقى شبكته يوما في النهر، فما لبث أن شعر بجسمٍ ثقيلٍ، وتخيّل فرحًا أنّه اصطاد صيدًا ثمينًا، ولعله من سمك الكطّان، ولكن فرحته لم تدم؛ لأنّه اكتشف أنّ صيده كان حجرًا ثقيلًا، فيشبّه القائل نفسه بـ(حميّد) الذي لم تطل فرحته، ولما سمع الناس أنّ الشيخ ضاري ورجاله قتلوا (ليجمان) الذي أصبح أسطورة في بطشه وقسوته، خرجت الجموع تهوس قائلة: (هز لندن ضاري وبجّاها)، ولما توفّي الشيخ ضاري في سجنه بعد ذلك بثماني سنوات وخرجت الناس في تشيعيه تردد[1]:

١. نجدة فتحي صفوة، خواطر وذكريات وأحاديث، ٣١.

منصـــورة يـــا رايـــة ضـــاري الدنيـــا غـــدارة ياابـــن العـــم
واش هالغيبـــة يابـــن العـــم وياشـــيخ اتهنـــا بهالنومـــة.

وأيضًا الشاعرة افطيمة آل علي من عشيرة الظوالم عندما خرج أخوها وابنها إلى ساحة المعركة في جسر السوير ومضت مدة عليهما، ثم رجع أخوها فسألته عن ولدها أجابها: (جن لا هزّيتي أو لوليتي)، فأجابته مفتخرة بذلك: (هزّيت أو لوليت الهذا)، تشير إلى أنّها ولدته وعانت تربيته للحصول على أداء واجبه الوطني لهذا اليوم الذي قارع الإنكليز أعدائه [١].

وهذه الشاعرة عفته بنت اصويلح من عشيرة الإزيرج أسر العدو ولدها، وقد مروا به عليها، فلما شاهدته خشيت أنْ يناله الجبن وربما يلوذ بالإنكار، فافهمته بالهوسة المعروفة عند أبناء المنطقة: (بس لا يتعذر موش آنه)، فأجابها بصلابة وقوة عقيدة، بعد أن فهم قصدها: (خلوني ابحلكه أو كلت آنه)[٢].

الشعراء الذين لم تكن لهم صلة بثورة العشرين		
١	الكاظمي	كان في القاهرة وكانت له صلة بجريدة المقطم التي لها صلة بالاحتلال ولم ينفعل مع الثورة
٢	الرصافي	لم تكن له مشاركة أدبية في الثورة، مع بغضه الاستعمار.
٣	الشيخ علي الشرقي	لم يكن له عمل أدبي في الثورة.
٤	جميل صدقي الزهاوي	استقبل الاحتلال بالاستبشار بل شارك في الأعمال الأدبيّة التي تؤيد الاحتلال

١. كمال الدين، محمد علي،ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، ٣٧٦.
٢. المصدر نفسه .

الشعراء الذين كان لهم صلة بالثورة من		
١	محمد رضا الشبيبي	من شعراء الثورة
٢	حسين كمال الدين	من شعراء الثورة
٣	محمد حبيب العبيدي	من شعراء الثورة
٤	سعد صالح	من شعراء الثورة
٥	محمد مهدي البصير	من شعراء الثورة
٦	منير أفندي	من شعراء الثورة
٧	عيسى عبد القادر	من شعراء الثورة
٨	عبد الرحمن البناء	من شعراء الثورة
٩	محمد حسن أبو المحاسن	من شعراء الثورة
١٠	محمد باقر الحلي	من شعراء الثورة
١١	عبد الكريم العلاف	من شعراء الثورة
١٢	كاظم السوداني	من شعراء الثورة
١٣	عبد الحسين الحويزي	من شعراء الثورة
١٤	محمد علي اليعقوبي	من شعراء الثورة
١٥	خليل عزمي	من شعراء الثورة
١٦	عبد الحسين الأزري	من شعراء الثورة
١٧	عباس الخليلي	من شعراء الثورة
١٨	خيري الهنداوي	من شعراء الثورة
١٩	الشيخ محمد جواد الجزائري	من شعراء الثورة
٢٠	السيد هبة الدين الشهرستاني	من شعراء الثورة
٢١	محمد مهدي الجواهري	من شعراء الثورة

٢٢	الشاعر محمد تقي الحائري	من شعراء الثورة
٢٣	السيد محمد الهاشمي	من شعراء الثورة
٢٤	إبراهيم الرحيمي	من شعراء الثورة
شاعرات القرن العشرين) (الهوسة) أسماء بعض)		
١	افخيتة بنت عبود الفتلاوي	
٢	عفتة بنت كزار الفتلاويّة	
٣	اشليبة بنت فزع الفتلاويّة	

وهذه القائمة للتمثيل، وليست على وجه الحصر، وقد ذكر صاحب (كتاب الشعر الشعبي لشاعرات ثورة العشرين) كثيرًا من النصوص الشعريّة للمرأة الفراتية، ملتقطًا ذلك من أفواه الرجال الذين شاهدوها وسمعوا شعرها وممن حضروا المعارك الرهيبة، ويذكر هنا كأنّه لاقى صعوبة في الروايات؛ نظرًا إلى كون الرواة يستمعون إلى شعر يرتجل فيعتمدون على قوة الذاكرة، ومن الصعب الإحاطة بكلّ ما سمع في وقته فقد ذهب المعظم منه لأنّه لم يُسجّل في حينه، أو سُجّل ولم يعثر عليه. و من النصوص المهيجة برواية الثائر (اشناوة آل ماخي)، فقد سمع ذلك من أصواتهن وهن يهتفن برجالهن عندما وصل جيش الإنكليز إلى (الرارنجية) وعندما نطلق رصاص الثوار هتفت إحدى بنات آل فتلة مخاطبة الزعيم عبد الواحد الحاج سكر ومهيجة له فقالت الأولى:

ثار التفكك وسمع أنـــــــدابه ودخانته مثل الضبـــــــــــــابه
نخوا وين فكّـــــــــــاك الطلابه يواحـد أو يـا راعـي المهابـه
يـماضي ولا ينشـد أصوابـه يصنديـد يـا وكفـة أصحابـه
يسـيل الـذي حـدر سحابـــــــه

و في (كتاب شاعرات ثورة العشرين) لعلي الخاقاني، يذكر الشعر الشعبي لشاعرات ثورة العشرين، وكيف أنّ المرأة العراقيّة وقفت إلى جانب الرجل في هذه المرحلة، ويركّز على شعر الهوسة، فيذكر أسماء الشاعرات، والعشيرة، وسبب الشعر، وأين قيل الشعر.

وخلاصة القول

أولًا: كانت هذه نظرةً سريعةً إلى التطوّر العام للشعر الحديث في هذه المرحلة، ولا تغني بالطبع عن التفصيل؛ فالصورة العامة لهذا الشعر صورةٌ محيرة، ولن يقربنا منها سوى الرجوع إلى الأصول التي مهّدت لها كما رأينا في بداية البحث.

ثانيًا: إنّ الظواهر التي رأت النور في تلك الفترة لا تزال تؤثر على الحياة الشعرية حتى اليوم. وسواء تبين لنا أنّ شاعرًا من الشعراء قد تأثّر بسلفه أم لم يتأثر، فإنّ ذلك لن يعفينا من التسليم بحقيقةٍ هامة تسري على الشعر سريانها على سائر الفنون، ألا وهي أنّ لكلّ عصرٍ روحه وأسلوبه الملزم، وأنّ هناك أسلوبًا في الرؤية والإحساس والأداء تميّز به الشعر في ثورة العشرين.

ثالثًا: إنّ قيمة هذا الشعر تكمن في شجاعة المخاطرة في التفوّه به أمام المجتمع، وفي المحافل والمدارس والمساجد، لا في النتيجة النهائية.

رابعًا: سلطان شعور الشاعر بكلماته حول عذوبة أن نكون مع المقاومة أو لا نكون بدونها، وهذه هي ذروة العمر كلّه فيثير المشاعر والانفعالات في نفوس مجتمعه.

خامسًا: ويتضح لنا جليًّا أنّ أهازيج ثورة العشرين كانت حصيلة جهاد أولئك الأبطال الذين خلدوا لنا تاريخهم وسطّروا لنا بطولاتهم من خلال ما نطقت بخ شفاههم فقد ظلت أراجيزهم طافحة بحب الوطن والجهاد والثورة ضد المستبد الظالم والمحتل الغاشم.

سادسًا: كما تبيّن سهولة الهوسة وبساطة تعبيرها مما ساعدها على الانتشار سريعًا في أواسط الجماهير فكانت تثير حماسهم فهي خطابيّةٌ مباشرةٌ وعفويّةٌ، فأهزوجةٌ واحدةٌ يطلقها المهوال كانت كافيةً لتجنيد جيشٍ كامل.

سابعًا: الهوسة والأهزوجة لها دور مهم تعد مصدرا من مصادر قراءة سير أحداث ثورة العشرين وتطوراتها.

الأمر الثالث: دور الأعمال المسرحيّة والقصصيّة لثورة العشرين

ورد في مأثورات القدماء أنّ السماء قد أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء من البشر، على أيدي الصينيين وعقول اليونان، وألسنة العرب، وقد فطن العرب بأنّ البلاغة والشعر ومهارة اللسان هي جماع قدراتهم الفنية وعلو عطائهم الحضاري بين الشعوب. وفن المسرح من بين تلك الفنون التي اهتم بها العرب في القرون الأخيرة، وليس من شك في أنّ ظاهرة المسرح كغيرها من الظواهر الفنيّة في حياة المجتمعات تثير عددًا من التساؤلات والخلافات بين العاملين في هذا الحقل والمهتمين بأمره، وهي خلافات تتنوع وتتشعب طبقًا للموقف الذي يتخذه كل فنان ودارس من هذه الحياة، إذ إنّ الفن المسرحي من الوسائل الفنيّة الضروريّة لاتّحاد الفرد والجماعة، وهو يعكس بلا شكّ قدرته اللامحدودة على المشاركة واقتسام الأفكار والخبرات، فالعرض المسرحي هو لقاءٌ بين مجموعتين إنسانيتين، الأولى هي الجمهور، والثانية هي الفرقة المسرحية.

وكثيرة هي الآراء والتحليلات التي طرحت حول بدايات المسرح على خريطة الأرض، تفاوتت هذه الآراء وتقاطعت مع بعضها بعضًا، ولا نريد الخوض فيها هنا، ولكن نشير إلى الرأي المختار وهو أنّ البلاد العربيّة لم تعرف المسرح قبل أواسط القرن التاسع عشر، ولم تشاهد من هذا الفن إلّا النزر اليسير، وهو ما كانت تقدمه بعض الفرق الأجنبيّة في مناسباتٍ خاصّة، وأما بالنسبة إلى

العراق هناك من يقول إنّ المسرح في العراق بدأ مع بداية الحكم الوطني، أي في عام ١٩٢١ م، وآخرون يقولون إنّ المسرح كان موجودًا عندنا قبل هذا التاريخ، ويمكن تحديد زمانه بالثالث الأخير من القرن التاسع عشر حيث ابتدأ المسرح رحلته وتواصل حتى العام ١٩٨٨ .

وذلك على الرغم من توافر المصادر والمراجع التي تعين الباحث والدارس على رسم مسارات الحياة المسرحية في العراق وتحديد علاماتها وعناصرها ومراحلها فتحدد ظهور النشاط المسرحي في العراق الحديث خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ولم يتفق الباحثون والموثقون حتى الآن على تاريخ (يوم - شهر - سنة) لبداية هذا النشاط، ومن كان أوّل رائد له؟ إلّا أنّ الإشارات قد كثرت الى ما كان يُعرض ويُكتب خلال سنوات التأسيس التي تمتد الى عام ١٩٢١م، حيث انفصل العراق عن الاحتلال العثماني، وبعد الاحتلال البريطاني، وخلال الفترة التي سبقت عام ١٩٢١م، ظهرت النوادي والتجمعات التي تسترت بالنشاطات الاجتماعيّة والثقافية العامة، وهي في جوهرها كانت تعمل من أجل إذكاء الروح الوطنيّة وتأجيجها ضد المحتلين، إنّ هذه النوادي أدّت دورًا في إنعاش النشاط المسرحي، الذي اتخذته سلاحها في جهادها ضد الغزاة الاحتلال، وخاصة في بغداد ونينوى. أما البصرة، فلم يجرِ فيها أيّ نشاطٍ مسرحيّ كهذا خلال الفترة هذه.

ومن تلك العروض نشير إلى أربع مسرحيات هي:

١. (وفاء العرب) قدّمها في بغداد طلبة مدرسة الكلدان في النصف الثاني من تشرين الأول عام ١٩٢٠م، وهي من تأليف انطوان الجميل .

٢. (وفود النعمان على كسرى انو شروان)، وقد عُرضت عام ١٩٢٠م، وخُصّص ريعها لمنفعة الثوار .

٣. (فتح الأندلس على يد طارق بن زياد)، وهي من المسرحيات التي قُدّمت

عام ١٩٢٠م، وقد خُصّص ريعها لمنفعة ثورة العشرين العراقيّة .

٤. (صلاح الدين الأيوبي)، وهي أول مسرحية تُعرض على مسرح مدرسةٍ إسلاميّةٍ في الموصل، وقد أخرجها أرشد أفندي العمري مهندس البلدية عام ١٩٢١[1].

كان لثورة عام ١٩٢٠م، تأثيرٌ كبيرٌ في تطوّر المسرح في العراق حيث ظهرت حركةٌ مسرحيّةٌ تواكب الثورة، وتعبّر عنها من خلال الفرق المسرحيّة الشبابيّة التي أسّسها حقّي الشبلي عام ١٩٢٧م، حيث كانوا يقدمون مسرحياتهم في المنتديات والنوادي الاجتماعيّة ومنها مسرحية شهيد الدستور.

ونعود إلى الأديب محمد مهدي البصير في مجال الأدب المسرحي وتأثير أدبه في ثورة العشرين، يشير الدكتور علي الربيعي في كتاب (محمد مهدي البصير رائد المسرح التحريضي في العراق) إلى أهميّة مسرح البصير في التصدي والتفاعل مع موضوع ثورة العشرين وتجلياتها الاحتجاجية؛ إذ ألّف البصير مسرحيتين بهذا الصدد الأولى بعنوان)وفود النعمان على كسرى انو شروان(، والثانية بعنوان (دولة الدخلاء)، ويذكر الربيعي أنّ المسرحية الأولى ظهرت عام ١٩٢٠م، على (مسرح سينما أولمبيا) في بغداد، حيث لم تكن هنالك قاعات مخصصة للعروض المسرحية، وتشير إلى دفاع النعمان عن حقوق العرب في حضرة كسرى ملك الفرس بوصفه جاء محتلًّا لا محرّرًا في تناصٍ واستعارةٍ وغمزٍ لعبارة الجنرال مود الشهيرة: (إنّنا جئنا محرّرين لا فاتحين). ولم يذهب البصير في معالجته لموضوع الثورة دراميًّا الى المباشرة أو الخطابية أو الزعيق السياسي، إنّما عرض موضوعًا تاريخيًّا وحكايةً من التراث وأسقط عليها رؤيته لثورة العشرين والتحرّر من المحتلّ، من منطلق قومي واممي أوسع في التحريض .

1. https://ao-academy.org. بتصرف /

وفي)دولة الدخلاء(التي كتبت عام ١٩٢٥م، لم يثبت أنّها قُدّمت على خشبة المسرح، وقال عنها كاتبها (البصير): «عروض هذه الرواية قبل كلّ شيءٍ تنبيه الأفكار إلى ما نشأ وينشأ عاجلًا أ م آجلًا من الويلات والمصائب عن تكالب الزعماء على منافعهم الذاتيّة الخسيسة، وإشراك الدخلاء في مصالح الوطن وخبراته كأنّهم من أبنائه». ويبدو أنّ المسرحيّة قد مُنعت من قبل السلطات حينها؛ إذ لا يوجد لها (بروشور) عرض، أو إعلان في الصحف، أو إشارات في كتب الرواد التوثيقية، أو النقدية، وهذا المنع سببه ما حوته المسرحية من نقدٍ لاذعٍ للسلطة، وفيها استشرافٌ وقراءةٌ لحياة وظواهر ما بعد ثورة العشرين من منظورٍ وطنيّ، ينظر بريبةٍ وشكٍّ للأجنبي ووجوده في مصادر القرار السياسي الداخلي، ويشير أيضًا الى المأجورين والعملاء وشذّاذ الآفاق من بعض السياسيين الذين يعيشون ازدواجية ولائهم للسلطة العثمانيّة السابقة، وإذعانهم للإنكليز وعقدهم للأحلاف والصفقات المريبة معهم.

إنّ أهمّ ما يميّز مسرحيات (البصير) التحريضيّة هو قوة السبك اللغوي، والألفاظ العربيّة المنتقاة بعناية فائقة؛ فهو الأستاذ الضليع والعارف باللغة وبلاغتها وأسرارها، وطعّم مسرحيّاته ببعض الأشعار التحريضيّة والحماسّية التي ألهبت قاعات العرض المسرحي وجماهيرها آنذاك. وكان حاذقًا في فهمه للنوع المسرحي وصنعة الحوار، فهو لم يكتب مسرحياتٍ شعريّةً كما فعل أحمد شوقي، وهو القادر على ذلك والنابغ فيه، إنّما جعل مسرحياته متنوعةً في أنساقها اللغويّة والشكليّة، نثرًا وشعرًا، غايته في ذلك لكي لا يذهب المؤدّون نحو الروح الغنائيّة للشعر وإيقاعه الموزون ممّا يحدث الرتابة في الأداء، وحتى لا يتغافلوا عن الجوانب الإدراكيّة والعقليّة التي يتيحها الحوار نثرًا.

وهناك مسرحياتٌ تحريضيةٌ تأثّرت بالأطر الفكريّة والجماليّة لمسرح (البصير)

منها مسرحية (وحيدة) لموسى الشابندر، وهو وزير خارجية العراق في بدايات العهد الملكي، كتبها عام ١٩٢٩م، وتعدّ من أنضج المسرحيّات التحريضيّة ووحيدة أشبه بدراما الاجتماعيّة القرينة بمسرحيّات الكسندر ديماس الابن، وقد استطاع المؤلّف أنْ يضع علاقة الحبّ بين قوى الشر الكاسحة وقوى الخير الضعيفة في مجتمعٍ متأخّرٍ ورجعيّ، حيث يتغلّب الشر على الخير، وفي محورها الثاني تحرّض على الوقوف ضدّ الاحتلالين العثماني والإنكليزي، وتحرّض أيضًا على تغيير المجتمع المتخلف وعاداته البالية إلى مجتمعٍ أفضل، قُدّمت المسرحيّة كأول إنتاج للفرقة القوميّة للتمثيل بعد تأسيسها، وعُرضت في ١٠/ ٤/ ١٩٦٩ بإخراج محمد القيسي وفخري الزبيدي، وتمثيل فاطمة الربيعي، وعزيز عبد الصاحب، وقاسم الملّاك وآخرين[1].

ونشير أيضًا إلى قصص الأطفال التي تذكر ثورة العشرين، ومنها ما كتبه الكاتب والقاص جاسم محمد صالح[2]؛ إذ كتب ثلاث قصصٍ للأطفال عن ثورة العشرين تحت عنوان (الحصار)، يتناول فيها قصة الشيخ ضاري، والشهيد

1. https://www.iraqicp.com.

٢. كتب وألّف أكثر من ٩٠ كتابًا في مجال أدب الطفل: (روايات، مجاميع قصصية، مسرحيات للأطفال، سيناريوهات، دراسات في ادب الطفل).

*تُرجمت كتاباته ألى أكثر من تسع لغات عالمية من أهمها: اليابانية، الفارسية، الانكليزيّة، الكرديّة، التركيّة، البلجيكيةّ، النرويجيّة ...الخ.

*دُرست رواياته وقصصه في أكثر من عشرين شهادة علمية في العالم وفي جامعات: (العراق، وإيران، والأردن، ومصر، والجزائر، والمغرب، وماليزيا، وأذربيجان). ألقى محاضرات في أدب الأطفال في جامعات: (العراق، ومصر، وسوريا، ولبنان، والأردن، والجزائر، وأذربيجان، وتركيا، وإيران) .

*يُعدّ من روّاد أدب الطفل في العراق، ومن الذين وضعوا القواعد والاسس العلميّة الرصينة لهذا النوع من الأدب في مجال: (الرواية، والقصة، والمسرحية، والسيناريو، والدراسة) .

النجار حميد الأخرس، والشهيد نجم البقّال[1]. كما كتب للفتيان قصصًا وروايات تاريخيّة على شكل سيناريوهات مصوّرة، نُشرت تباعًا في في مجلات: (الميسرة)، و(المزمار)، و(مجلتي) وغيرها، والجدير بالذكر أنّ رواية الحصار، ورواية الفأس، ورواية الصفعة، ورواية الخاتم، فازت بالجائزة الأولى في أدب الطفل في الملتقى الثقافي العراقي الأول عام ٢٠٢٥م، ومن روايته أيضًا رواية (ملكة الشمس) و(منقذ اليعربي) ورواية (صالح الخراشي)، كما مثّلت له مسرحيات كثيرة للأطفال، منها (أصدقاء الشمس)، واهتمّ بمسرح الدمى للطفل.

وأصدر مركز المحسن التابع لقسم الإعلام في العتبة العلويّة المقدّسة قصّةً مصوّرةً للأطفال تحمل عنوان (مقتل مارشال) بالتزامن مع الذكرى الـ(١٠٢) لانطلاق ثورة العشرين الخالدة من النجف، والقصة تسرد تاريخيًّا بالصور بطولات رجال الدين الأفاضل والنخب العشائريّة والمجتمعيّة والأكاديميّة في تلك الحقبة ضدّ الاستعمار الإنكليزي.

إنّ أسلوب القصص أسلوبٌ مهمٌّ في تعريف الطفل على مفهوم التغيير والأحداث الجديدة والمخيفة في بعض الأحيان، والمشاعر التي تصاحب هذه المواقف، وتعزّز الترابط بين الشخص والقاص، وهي عاملٌ مهمٌّ في رسم الاتّجاهات وتعديل السلوك، كما تعزّز النضج النفسي والعاطفي، وهي من أهم الأساليب التي يعتمد عليها المربّون في غرس القيم والمبادئ المتنوعة في نفوس الأطفال بشكل غير مباشر.

الأمر الرابع: دور المدارس والأنشطة الأهليّة في ثورة العشرين

لقد بدأت الحفلات السياسيّة في المدارس الأهلية ببغداد، وكانت تستعين بالشاعر البصير، وكان هو لسانها النابض في إحياء وتفعيل تلك الأنشطة، ففي ٢٩

1. https://alzawraapaper.com

شعبان ١٣٨٨ه ١٧ أيار ١٩٢٠م، وقبيل إعلان الثورة أُقيمت حفلةٌ سياسيّةٌ تحت ستار العلم بمناسبة افتتاح المدرسة الحسينيّة الأهليّة ببغداد، فأنشد البصير قصيدةً أثنى فيها على المدرسة، وحثّ على العلم، وانتقل إلى الإثارة والتحريض، فقال:

يا صاحبَيّ هذي الضادّ قد جمعت ... أبناءها والعلا منهم على كثبِ
ولن يُصان لليث الغاب مربضه ... من الذئاب لو أنّ الليث لم يثبِ
ولا ألوم قويًّا في تنكّرهِ ... إنْ قال لا حكم إلّا في يد الغلب

ثم في المدرسة الجعفرية أقيمت حفلةٌ سياسيّةٌ ببغداد في مساء ١٦ رمضان ١٣٨٨ه ٣٠ أيار ١٩٢٠ م ألقى فيها البصير قصيدةً منها:

لِيُحطم المستعبدون قيودَهم
فالجور آيسهم من الإعتاق

وكان الشاعر منير أفندي خطيب جامع أبي حنيفة، كان يجول في ميدان المدارس الأهلية والجوامع ويلقي قصيدةً لم يتيسر لنا نصّها الكامل:

جرّدِ الحزمَ وامتطِ العزمَ مهرا ... ما أرى لك الخمول شعارا
ومنادي العلا يناديك جهرا ... صاح إنّ الشعوب قامت تنادي
وتنال الحقوق بالسيف قهر

أمّا عيسى عبد القادر فقد كان يلقي في جامع الحيدر خانه قصيدةً أدّت إلى اعتقاله[1]؛ إذ كانت الجوامع والمدارس الأهليّة تتغنى بروح المقاومة والثورة، وتستعين بشعراء الثورة لاستثارة النفوس وتعليم الأجيال نهج المقاومة ضد الاحتلال والاستعمار.

١. انظر ثورة العشرين في الشعر العراقي، ص ٥٦.

الخاتمة

١. أنّ المقاومة هي القيام المضادّ للغير من أجل منعه من تحقيق هدفه، والانتصار عليه.

٢. كلّ حركة تغييرٍ ثوريّ لا تنطلق من البعد الفكري والثقافي لا يمكن أنْ تكون ثورةً حقيقيّة؛ وذلك لأنّ الثورة الحقيقية، لا بد لها أنْ تختمر في رحاب نظريّةٍ ثوريّةٍ عميقة الأبعاد ضاربة الجذور في الوعي الثوري، وهناك عدّة عوامل كانت مؤثرة في قيام هذه الثورة.

٣. ومن أهمّ هذه العوامل وجود الأحزاب السياسيّة التي تميّزت بالفاعلية والنشاط من أجل المشاركة في العملية السياسيّة، ولا يخفى أنّ للأحزاب السياسيّة دورًا كبيرًا في صناعة الأفكار وبلورتها.

٤. وجود مرجعيّةٍ دينيّةٍ حكيمةٍ رشيدة، كانت وما زالت تمثّل القدوة والمثل الأعلى لالتفاف الناس حولها، رغم محاولات البريطانيين استخدام وسائل خبيثة عديدة، ومنها الترغيب والترهيب. وكانت ثورة العشرين خير دليل على ذلك.

٥. لقد كانت العلاقة بين الشعب العراقي والمرجعيّة وثيقةً وعميقةً، ومازالت، وهي علاقةٌ روحيّةٌ تجمع بين الدين والعقل والعاطفة.

٦. الأثر الشعري المتمرّد الذي تركه لنا شعراء ثورة العشرين، والدور الذي أدّوه من خلال قصائدهم الثورية، فكان لهم الدور الريادي في استلهام الروح الثوريّة للجمهور.

٧. الهوسة هي فنٌّ أدبيّ شعريّ تميّز به أهل العراق، ويعدّ من العناصر المهمّة في إثارة الهمم، وإيقاظ العزائم، وإعطاء القوة، فتساوي في تأثيرها النفسي الآلة الفتّاكة.

٨. الأدب المسرحي كان له تأثيرٌ في ثورة العشرين، وقامت هناك عروضٌ مسرحيّةٌ داعمةٌ للثورة.

فكانت الجوامع والمدارس الأهليّة تتغنّى بروح المقاومة والثورة، وتستعين بشعراء الثورة لاستثارة النفوس وتعليم الأجيال نهج المقاومة ضد الاحتلال والاستعمار.

المصادر

١. الأعظمي، أحمد عزت، القضية العربية، العراق ـــ بغداد، الطبعة الأولى.

٢. البلدوي، إياد عيدان، تاريخ التشيع في سامراء، مؤسسة البلداوى الثقافية للطباعة والنشر، بغداد، ١٤٢٩ هجرى قمرى| ٢٠٠٨ ميلادى.

٣. الجبوري، كامل سلمان، وثائق الثورة العراقيّة الكبرى، الطبعة الأولى، بيروت ـــ لبنان، ١٤٣٠ هجري ـــ ٢٠٠٩ م.

٤. جهامي، جيرا، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد): دغيم، سميح، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون مكان الطبع: بيروت تاريخ الطبع: ٢/ ١٢/ ١٤٢٦ ه. ق الطبعة: الأولى.

٥. حرز الدين، محمد، معارف الرجال، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، قم ـــ إيران.

٦. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، الناشر: مطبعة الإرشاد، العراق، بغداد.

٧. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الناشر: دار الفكر مكان الطبع: دمشق تاريخ الطبع: ١٤٢٠هـ الطبعة: الأولى.

٨. الحيدري، محمد، معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها، الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية مكان الطبع: قم تاريخ الطبع: ١٤٢٣هـ الطبعة: الأولى.

٩. الخليلي، جعفر، محمد مهدي بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات المقدسة.

١٠. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، بيروت ـــ لبنان، ١٩٨٥م.

١١. الزمخشري، محمود بن عمر، مقدمة الأدب، الناشر: مؤسسة الدراسات الإسلامية في جامعة طهران مكان الطبع: طهران تاريخ الطبع: ١٤٢٨هـ الطبعة: الأولى.

١٢.الطائي، صادق، شيعة العراق جزء من جهاد العثمانيين ضد الاحتلال البريطاني، العراق -بغداد.
١٣.الطهراني، آغا بزرك، نقباء البشر، طبعة بيروت - لبنان، ت. لا، مطبعة دار الأضواء.
١٤.كمال الدين، محمد، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، الناشر مطبعة التضامن، تاريخ النشر ١٩٧١ العراق، بغداد.
١٥.المبارك، عبد الحسين، ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠ه -١٩٧٠ م، العراق، بغداد.
١٦.مهيار، رضا، فرهنگ أبجدي، فارسي، الناشر: الإسلامي مكان الطبع: طهران تاريخ الطبع: ١٤١٧هـ الطبعة: الثانية.
١٧.موسى، حسين يوسف، الإفصاح في فقه اللغة، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي مكان الطبع: قم تاريخ الطبع: ١٤١٠هـ الطبعة: الرابعة.